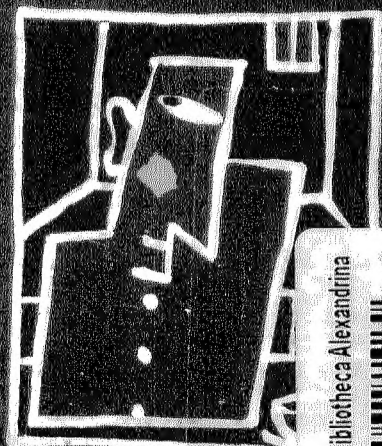


رواية

خوف حارس المرمى

عبد صمد الجواد



بيتر هانكه

ترجمة أحمد فاروق

خالد عباس طوبار

Bibliotheca Alexandrina



0168858

مكتبة
البحر

اهداءات ٢٠٠١

١/ عبد الرحمن طارق الشوقوي

مكتبة سندياد - القاهرة

خوف حارس المرمى عند ضربة الجزاء

بيتر هاندكه

ترجمة

أحمد فاروق

خالد عباس طوبار

نواة

للترجمة والنشر

هذه هي الترجمة الكاملة لـ

"Die Angst des Tormanns beim Elfmeter"

PETER HANDKE

Suhrkamp taschenbuch Verlag 8. Auflage 1977

خوف حارس المرمى عند ضربة الجزاء

تأليف بيتر هاندكه

دار زوركامب تاشنبوخ للنشر

عن الطبعة الثامنة ١٩٧٧

صدرت الطبعة الأولى من هذه الرواية عام ١٩٦٩

شكر خاص لـ
زيمونه فرانيك
وطارق محمود

الطبعة العربية الأولى : نواردة للترجمة والنشر ١٩٩٦

ترجمة : احمد فاروق ، خالد عباس طوبار

تصميم الغلاف : وليد طاهر

الإعداد الطباعي : نواردة للترجمة والنشر

الطباعة : مطابع الوادي الجديد بدار السلام

رقم الإيداع : ١٠٠٧٧ / ١٩٩٦

ISBN:977-5730-05-8

جميع الحقوق محفوظة

بيتر هاندكه

بيتر هاندكه: من مواليد جريفن / كرينتن بالنمسا عام ١٩٤٢، درس الحقوق بجاتس وظهرت أول أعماله رواية «الزنابير» ١٩٦٤. من أهم أعماله مسرحية «القاصر يريد أن يكون وصيا» و«كاسبار» التي ترجمت إلى العربية وروايات «المرأة العسراء» «الخطاب القصير للوداع الطويل». له ديوان شعر وحيد هو «العالم الداخلي للعالم الخارجي للعالم الداخلي». عمل مع أحد أهم المخرجين الألمان وهو فيم فندرز في كتابة العديد من السيناريوهات لأفلامه ومنها هذه الرواية.

«لقد رأى الحارس كيف جرت الكرة فوق الخط»

عندما ذهب يوزف بلوخ عامل التركيبات، والذي كان سابقا حارس مرمى شهيرا، ليسجل اسمه فى العمل قبل الظهر، أخبر أنه قد رُفِت.

وعلى كل حال فقد فسر بلوخ حقيقة أنه عند ظهوره على باب الكوخ الذى قبع فيه العمال للتو، ولم ينظر إليه سوى رئيس العمال، على أنها إخبارية بذلك وغادر المكان.

فى الشارع رفع بلوخ ذراعه ولم يكن قد رفعها من أجل تاكسى، ولكن الغربة التى مرت من أمامه أيضا.. لم تكن تاكسى.

أخيرا سمع صوت فرملة أمامه ودار حول نفسه، وفى الخلف وقف تاكسى وكان السائق يسب، ودار بلوخ حول نفسه ثانية ثم ركب التاكسى إلى سوق الحلوى.

كان يوما جميلا من أيام أكتوبر، وأكل بلوخ السجق الساخن فى أحد الأكشاك، ثم مشى بعد ذلك ما بينها متوجها إلى إحدى دور السينما.

وأزعجه كل ما رآه، لقد حاول قدر الإمكان أن يصيح قليل الإدراك، ثم زفر فى داخل السينما.

فى الداخل عجب بلوخ من أن عاملة التذاكر قد أجابت بشكل تلقائى بحركة أخرى الحركة التى وضع بها النقود على الطبق المدور. وقد لاحظ- إلى جانب شاشة العرض- ساعة كهربية بأرقام مضيئة، وفى وسط الفيلم سمع رنين أجراس وقد ظل غير متأكد لمدة طويلة إن كانت تدق فى الفيلم أم فى برج الكنيسة المجاورة لسوق الحلوى، وعندما خرج إلى الشارع ثانية، اشترى عنبا وكان رخيصا فى هذا الموسم بخاصة. ثم واصل المشى وأكل العنب أثناء ذلك وبعث البذور بعيدا.

وقد رفضه الفندق الأول الذى سأل فيه عن غرفة لأنه لا يملك سوى حقيبة مستندات. وفى الفندق الثانى الذى يقع فى حارة جانبية، ساقه موظف الاستقبال إلى الحجرة بنفسه. وأثناء خروج موظف الاستقبال، استلقى بلوخ على السرير وغلبه النعاس فى الحال.

وغادر الفندق فى المساء وسكر، وبعد ذلك أفاق من سكره وحاول الاتصال ببعض الأصدقاء. ولأن هؤلاء الأصدقاء لا يعيشون فى نطاق المدينة والتليفون لا يخرج العملات فقد بلوخ كل ما معه من فكة. وقام بتحيةة شرطى بغرض حثه على الوقوف، لكن الشرطى لم يرد التحية وسأل بلوخ نفسه عما إذا كان الشرطى ربما لم يفسر الكلمات التى قيلت له عبر الشارع تفسيراً صحيحاً. وعلى العكس من ذلك فكر فى التلقائية التى تدير له بها عاملة التذاكر الطبق وبه تذكرة الدخول. لقد كان مندهشاً من سرعة الحركة، حتى أنه كاد ينسى أخذ التذكرة من الطبق.

ثم قرر رؤية عاملة التذاكر. وعندما وصل إلى السينما كانت نوافذ الأفيش مظلمة ونظر إلى رجل واقف على سلم، كان يغير عنوان الفيلم بعنوان فيلم آخر لليوم التالى. انتظر حتى عرف عنوان الفيلم الآخر ثم ذهب إلى الفندق ثانية.

كان اليوم التالى هو السبت وقرر بلوخ أن يمكث بالفندق ليوم آخر. وبخلاف زوجين أمريكيين كان هو الوحيد فى صالة الإفطار: واستمع لبعض الوقت إلى الحوار الذى استطاع فهمه بقدر ما، لأنه ذهب مع فريقه بعض المرات فى دورة إلى نيويورك. ثم خرج بعد ذلك مسرعاً لشراء بعض الصحف، ولأن الصحف فى هذا اليوم كانت طبعات أسبوعية لذا فقد كانت ثقيلة.

ولم يطوها ولكنه حملها تحت ذراعه عائداً إلى الفندق وجلس على مائدة الإفطار التى نظفت واستبعد الملاحق الإعلانية: لأنها تصيبه بالضيق.

فى الخارج رأى اثنين يمشيان بجرائد ضخمة. وكنتم أنفاسه حتى مرا. الآن أدرك أن الأمر كان متعلقاً بالأتنين الأمريكيين: فى الخارج لم يتعرف ثانية على هذين اللذين رآهما من قبل فى صالة الإفطار على المائدة. وشرب فى المقهى ولوقت طويل - ماء الصنبور الذى قدم له فى كوب مع القهوة. ووقف لعدة مرات ثم أحضر إحدى المجلات المصورة من الأكوام الموجودة على بعض الكراسى والموائد. وعندما أحضرت النادلة كما كبيراً من المجلات استخدمت كلمة «مائدة الصحف».

وبلوخ الذى تحمل بصعوبة تصفح المجلة من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يستطع أن يطوى الصفحات الداخلية فى جانب، قبل أن يتصفحها كلها، حاول أن يلتقى نظرة على الشارع.

ويسر له هذا فى البداية التعارض بين صفحات المجلة والصور المتتالية فى الخارج. وعند خروجه وضع المجلة بنفسه على المائدة.

كانت أكشاك سوق الحلوى مغلقة واستغرق هو بعض الوقت فى إزاحة بعض الخضر والفاكهة التى كانت ملقاة أمامه. وقضى حاجته فى مكان ما بين الأكشاك الخشبية، وكانت سوداء من أثر البول، ثم وجد بذور العنب التى بصقها بالأمس ملقاة على الرصيف.

وعندما وضع بلوخ العملة الورقية على طبق الكاشير، اهتزت الورقة أثناء الدوران، وكانت هناك فرصة لبلوخ كى يقول شيئا وأجابته عاملة التذاكر، ثم قال شيئا آخر، ولأن ما قاله لم يكن مألوفا، نظرت إليه عاملة التذاكر ثانية وأعطاه هذا فرصة استكمال الحديث. ومرة أخرى فى السينما تذكر بلوخ الرواية والسخان الكهربائى اللذين كانا بجوار عاملة التذاكر واستند بظهره إلى الخلف وبدأ فى التمييز بين المفردات على الشاشة.

وقبيل الغروب، ذهب إلى الاستاد بالمترو، وهناك وجد مكانا للوقوف، لكنه جلس على الصحيفة التى لم يكن رماها بعد ولم يضايقه أن المتفرجين يحجبون الرؤية. ومع استمرار اللعب جلس أغلبهم ولم يعد بلوخ مميّزا. وترك الصحيفة ووضع فوقها زجاجة بيرة ثم خرج من الاستاد قبل صفارة النهاية حتى لا يتورط مع الجموع داخل الزحام.

وشعر بالاغتراب إزاء العدد الكبير من الأوتوبيسات وعربات الترام المنتظرة أمام الاستاد، حيث كان الأمر متعلقا بمباراة حماسية. جلس فى إحدى عربات الترام. جلس فيها وحيدا منتظرا.

هل سيسمح الحكم باللعب الإضافى؟

وعندما نظر بلوخ وجد أن الشمس تغرب. ثم نكس رأسه دون أن يريد أن يعبر بهذا عن شيء ما. فجأة أصبح الجو عاصفا بالخارج.

ومع صفارة النهاية تقريبا والتى تكونت من ثلاث صفارات طويلة متفرقة، صعد السائقون والمحصلون إلى الأوتوبيسات وعربات الترام وخرج الناس جريا. ثم توهم بلوخ أنه يسمع الضجيج الحادث نتيجة سقوط زجاجات البيرة على أرض الملعب وفى ذات الوقت سمع صوت ذرات التراب تصطك بزجاج الترام. ومثلما شد نفسه إلى الأمام عندما اقتحم المتفرجون عربة

الترام، استند بظهره إلى الوراء عندما كان فى السينما ، ولحسن الحظ كان لديه برنامج الفيلم وخطر له أن الأضواء الكاشفة فى الاستاد قد أضيئت وقال بلوخ «فكرة مجنونة»: لقد كان حارس مرمى سيئا فى الأضواء الكاشفة.

وفى وسط المدينة، حاول لبعض الوقت أن يجد كابينة تليفون، وعندما وجد كابينة خالية كانت سماعة التليفون المقطوعة ملقاة على الأرض. واستمر فى المشى وأخيرا تمكن من الاتصال من المحطة الغربية، ولأنه كان يوم السبت، كان الوصول إلى أى شخص صعبا. وعندما ردت سيدة كان يعرفها منذ زمن، كان عليه أن يتحدث بعض الوقت حتى تعرف من هو، وتواعدا فى مطعم بالقرب من المحطة الغربية، حيث يوجد حسب علم بلوخ جهاز موسيقى أوتوماتيكي.

وحاول أن يضيع وقته حتى تأتى السيدة، بإلقاء العملات فى الآلة الموسيقية وأن يسمح لأناس آخرين بأن يضغطوا على الزر. وأثناء ذلك شاهد صورا وتعليقات للاعبى الكرة على الحائط. وكان المطعم قد أستاذجره قبل عدة سنوات مهاجم فى الفريق القومى، وقد سافر هذا المهاجم للعمل كمدرّب لأحدى الفرق الأمريكية الشرسة التابعة لاتحاد الكرة الأمريكى وبعد حل الاتحاد، ضاع هناك.

ودخل بلوخ فى حديث مع فتاة كانت تقف بجوار مائدة بجانب جهاز الموسيقى. وكانت تضغط على الزر دون أن ترى وتختار دائما نفس الأسطوانة، ثم غادرت المحل معه وحاول معها دخول أقرب باب منزل متاح ولكن أبواب المنزل كانت مغلقة. وحينما فتح أحد الأبواب ظهر أنه خلف الباب الثانى يوجد قداس هو مصدر الغناء. ودخل أحد المصاعد الموجودة بين البابين الأول والثانى وضغط بلوخ على الزر العلوى، وقبل أن يتحرك المصعد أرادت الفتاة النزول ثانية وضغط بلوخ على الزر الخاص بالطابق الأسفل.

ثم خرجا من المصعد وبقيا فى بير السلم. الآن صارت الفتاة ألطف. وصعدا السلم معا جريا. وفى الطابق العلوى وقف المصعد فركبا وهبطا إلى الشارع ثانية. ومشى بلوخ مع الفتاة بعض الوقت، ثم عاد ثانية وبحث عن مكان المقهى، حيث كانت السيدة ذات المعطف مازال فى انتظاره وأوضح بلوخ لصديقة الفتاة أن الفتاة لن تأتى ثانية وغادر المقهى مع السيدة.

وقال بلوخ «إننى أبدو مضحكا بدون معطف، فى حين أنك ترتدين واحدا» ثم عانقته السيدة . ولتخليص ذراعها، تصرفت بلوخ كما لو أنه يريد أن يريها شيئا ثم لم يعرف بعد ذلك ماذا يجب عليه أن يريها، وكان يريد فى الحال شراء صحيفة مسائية. مشيا فى الشوارع المختلفة دون أن يريا بائع صحف واحد. وأخيرا ذهبا بالأتوبيس إلى المحطة الجنوبية ولكن المحطة كانت مغلقة بالفعل.

وتصرف بلوخ كما لو أنه كان فزعا ولكنه كان فى الحقيقة فزعا. وقال للسيدة التى فتحت حقيبتها فى الأتوبيس وأخذت تعبت بأشياء مختلفة ثم ألمحت له بأنها تشعر بتوقعك «إننى نسيت أن أترك ورقة» قال ذلك دون أن يعرف ماذا يقصد بالكلمتين «ورقة» و«أترك».

ورغم ذلك فقد ركب التاكسى إلى سوق الحلوى. ولأن السينما تعرض يوم السبت عرضا ليليا فقد أتى بلوخ مبكرا جدا وأكل «كفته» واقفا، ثم حاول أن يقص للنادلة نكتة فى أقصر وقت ممكن، ثم قطع حكايته فى المنتصف ودفع الحساب وضحكت النادلة.

وفى الشارع قابل أحد معارفه وطالبه الأخير بنقود فسيه بلوخ وحينما أمسك المخمور بقميص بلوخ كان الشارع قد أظلم وترك المخمور يديه تسقطان فزعا. وأبعد بلوخ نفسه سريعا عندما أدرك أن إعلان السينما المضىء قد أطفئ. وقابل بلوخ عاملة التذاكر أمام السينما وكانت تستعد لركوب سيارة مع رجل. ونظر بلوخ إليه واجابت نظره وهى جالسة بأن عدلت من ملابسها وفسر بلوخ هذا على أنه إجابة ولم توجد حالات وسط. لقد أغلقت الباب ثم انطلقت السيارة.

وعاد بلوخ إلى الفندق ووجد أن الصالة الخارجية مضاءة ولكنها خالية من البشر. وعندما أخذ المفتاح من مكانه وقعت ورقة مطوية من الصندوق ثم فتحها. وبينما كان بلوخ واقفا بالورقة فى يده فى الصالة الخارجية حيث كان يتأمل الحقيبة الوحيدة بجانب الباب، جاء موظف الاستقبال من المخزن المفتوح الذى كان نائما فيه على كرسى كان قد أحضره من الصالة الخارجية. وأغلق موظف الاستقبال الباب بحيث لا يرى بلوخ بالداخل سوى سلم خشبى عليه وعاء للشورية. ثم استعد للكلام مباشرة بعد أن ذهب إلى مكتب الاستقبال، لكن بلوخ فسر غلق الباب على أنه إجابة بالرفض. وصعد السلم إلى غرفته. ولم يلمح أمام أحد الأبواب على

الجانب الأيمن سوى زوج أحذية: فى الحجره خلع حذاءه دون أن يفك الرباط ووضع به بنفس الطريفة خارج الباب، ثم استلقى على السرير. فى منتصف الليل صحا بلوخ على أثر شجار فى الحجره المجاورة وربما يكون سمعه قد أثير بشدة حتى أنه حدد الأصوات فى الحجره المجاورة على أنها أصوات شجار، وضرب بقبضته على الحائط وبعد ذلك استمع إلى صوت صنبور مياه يخر، ثم أغلق الصنبور وأصبحت الأمور الآن هادئة وأخذ فى النعاس ثانية.

فى اليوم التالى صحا بلوخ على صوت تليفون الحجره، وسئل عما إذا كان يريد البقاء لليلة ثانية أم لا. وعندما نظر بلوخ إلى حقيبة المستندات اكتشف أن الحجره ليس بها دولاب للحقائب وعلى الفور أجاب بنعم ثم استلقى، وبعد أن أحضر حذاءه الذى لم يلمع لأن اليوم كان الأحد، غادر الفندق من الممر الخارجى دون أن يتناول إفطاره وحلق ذقنه فى المحطة الجنوبية بماكنة كهربية فى حمام المحطة واستحم فى إحدى الكبائن.

وأثناء ارتدائه للملابسه قرأ أخبار الحوادث والرياضة فى الجريدة، وبعد مدة من الزمن وأثناء قراءته كان كل شيء هادئا فى الكابينة نوعا ما، ثم شعر فجأة بتحسن.

استند إلى حائط الكابينة عندما انتهى من ارتداء ملابسه وارتطم حذاءه بالف الخشبي، وأثارت الضجة تساؤلا لدى عاملة الكابينة بالخارج، وعندما لم يجب عليها طرقت الباب وعندما لم يجب ثانية، ضربت المرأة بالفوطة أو بما يمكن أن يكون على مقبض الباب وأبتعدت.

وقابل على الرصيف أحد معارفه كان يريد الذهاب للتحكيم فى مباراة من الدرجة الثانية خارج المدينة. وفسر بلوخ هذه المعلومة على أنها نكتة وأكمل اللعبة معه بأنه يستطيع الذهاب معه كمراقب خط. وعندما حل صديقه رباط حقيبة البحر التى معه وأراه زى الحكام وشبكة بها ليمن، اعتبر بلوخ هذا أيضا مقالة ساخرة مثل الجملة السابقة وأوضح لصديقه مستطردا أنه عندما يذهب معه فإنه سيحمل حقيبة البحر فى الحال، بل إن وضع حقيبة البحر على ركبتيه فى قطار خارج المدينة كشف له أن صالون القطار سيكون غير مشغول وقت الظهيرة، قال هذا كله من قبيل الفكاهة ولم يتضح له علاقة سلوكه غير الجاد بالصالون الفارغ فى القطار.

أن يذهب الصديق بحقيبة البحر إلى خارج المدينة وأن يذهب بلوخ معه، وأن يتناولوا الغداء في مطعم ما بطرف المدينة وأن يذهبا معا كما يقول بلوخ إلى «ملعب جميل لكرة القدم» بدا له هذا كله عندما تخيل عودته وحيدا وأن اللعب لم يعجببه. بدا له هذا كله على أنه تصنع ذو جانبين وفكر بلوخ في أن هذا كله لن يجدى. لحسن الحظ لم يقابل أحدا على رصيف المحطة. واتصل بزوجته السابقة من كابينة تليفون في طرف حديقة وقالت إن كل شيء على ما يرام ولم تسأله عن شيء. ولم يكن بلوخ هادئا.

ثم جلس في حديقة مقهى كانت رغم الشتاء مفتوحة، ثم طلب بييرة وعندما لم يأت أحد بالبييرة، وبعد وقت طويل غادر المكان: كما أن طاولة المائدة التي لم يوجد عليها أى غطاء قد أغشمت بصره.

وقف أمام شباك أحد المقاهى وكان الناس في الداخل يجلسون أمام التليفون ونظر إليهم لمدة ما والتفت أحدهم إليه ثم أكمل سيره. وفي حديقة براتر ضرب ضربا مبرحا، فقد شد أحد الصببة سترته من الخلف فوق الذراعين والأخر اصطدم برأسه تحت ذقن بلوخ ونزل بلوخ على ركبتيه ثم ركله الصبى من الأمام. أخيرا دفع به الاثنان خلف كشك للحلويات وطرحاه أرضا، فوقع ثم ذهب ونظف بلوخ وجهه وبذلته.

ثم لعب بلياردو في أحد المقاهى بالحى الثانى حتى جاءت نشرة الأخبار الرياضية في التليفزيون، وطلب بلوخ من النادلة أن تفتح التليفزيون، ثم نظر وكأن لا شيء يعنيه من كل ما حوله، ثم دعا النادلة أن تشرب معه شيئا. وعندما عادت النادلة من الغرفة الخلفية، حيث كانت تلعب إحدى اللعابات المحرمة، وقف بلوخ على الباب ومرت هى به ولم تقل شيئا.

عند عودته إلى سوق الحلوى وحين نظر إلى صناديق الخضر والفاكهة المتراصة خلف الأكشاك بدا له كما لو أن الصناديق هى أيضا نوع من الفكاكة. ثم لم يأخذ ذلك مأخذ الجدل.

وقال بلوخ، الذى يرى النكات بدون كلام، لنفسه مثل النكتة بدون كلاما وفكر بلوخ في ذلك الإحساس بالكلفة والتصنع «التصنع الخاص بصفارة الحكم داخل حقيبة البحر» لقد اختفى هذا الإحساس بمجرد دخول بلوخ السينما، حيث أخذ الممثل الكوميدي أثناء مروره بالصدفة آلة الترومبيت من دكان الروباييكيا وأخذ يجرب العزف بها تلقائيا. وتعرف بلوخ ثانية على هذه الآلة وعلى الأشياء غير المتكلفة والتي لا تحمل معنيين.

أصبح بلوخ هادئا، وبعد الفيلم انتظر عاملة التذاكر ما بين الأكشاك فى سوق الحلوى. وبعد مدة من بداية العرض الأخير خرجت من السينما. وحتى لا يفزعها إذا خرج عليها من بين الأكشاك، ظل جالسا على الصندوق حتى وصلت إلى مكان أكثر إضاءة بسوق الحلوى. ورن جرس التليفون فى أحد الأكشاك المهمل خلف الصفيحة المتعرجة: كان رقم تليفون الكشك مكتوبا عليه بخط كبير. وقال بلوخ لنفسه «هذا لا ينفع» ومشى خلف عاملة التذاكر دون أن يلحق بها. وعندما ركبت الأتوبيس جاء على الفور وركب بعدها وجلس على الجهة المقابلة لها ولكن كانت هناك عدة صفوف ما بينهما. وقبل أن يصعد الركاب الجدد الذين حجبوا الرؤية استطاع بلوخ أن يبدأ فى التفكير، لكن من الواضح أنها لم تتعرف عليه: هل غيرته العلة حقًا، وتحسس وجهه ونظر فى زجاج النافذة ليتأكد مما تفعله، ووجد أن ذلك مضحكا.

وسحب الصحيفة من جيب الجاكت الداخلى ونظر إلى الحروف فى أسفل الصحيفة ولكنه لم يقرأ شيئا. وفجأة وجد نفسه كما لو أنه يقرأ. أخير أحد الشهود عن جريمة قتل أحل القوادين والذي ضرب بالرصاص فى عينه عن قرب» من مؤخرة الرأس قفز شيء مثل خفاش وأصطدم بورق الحائط ودق قلبى بشدة «لقد فزع بلوخ عندما تعلقت الجمل مباشرة بشيء مختلف من شخص مختلف دون أن تقطع إلى فقرات. وقال بلوخ لنفسه مفكرا «يجب على المرء أن يقوم بعمل فقرات» وأصبح بلوخ غاضبا بعد هذا الفزع القصير. ومشى نحو عاملة التذاكر فى مر الأتوبيس وجلس فى الجهة المقابلة لها ملتويا بحيث يستطيع أن يراها ولكنه لم يرها. وعندما نزلا أدرك بلوخ أنهما فى الخارج بعيدا قرب المطار. والآن فى الليل أصبح كل شيء ساكنا، ثم مشى بجانبها ولكن ليس كما لو أنه يصطحبها أو يريد ذلك. بعد برهة من الوقت ظلت الفتاة واقفة والتفتت لمستده هى الأخرى بشدة حتى أنه فزع. وأحس أنه يثق فى حقيبتها أكثر منها، ومشى إلى جوار بعضيهما لمدة طويلة دون أن يتلامسا وكانت بينهما مسافة ما، ولمسها ثانية قبل السلم وبدأت فى الجرى: ومشى هو ببطء وعندما وصل إلى أعلى عرف شقتها. وكان الباب مفتوحا على آخره وجعلت نفسها مرئية فى الظلام وصعد هو إليها وتركها نفسيهما لبعضهما البعض.

وعندما صحا فى الصباح بسبب ضجيج ونظر من النافذة رأى طائرة تهبط، وجعله برق أضواء الطائرة يسدل الستار. ولأنهما لم يضيئا أية مصابيح فقد ظل الستار مفتوحا، ثم

استلقى بلوخ وأغلق عينيه، ويغلق عينيه أصبح من العسير عليه بشكل غريب أن يتخيل شيئاً. وعلى الرغم من أنه حاول أن يتخيل الأشياء بكل الصور الممكنة، لم يستطع تخيل شيء ولا حتى الطائرة التي رآها تهبط للتو والتي تعرف على ضجيج فرملتها على المر وقنى أن يستطيع رسمها من الذاكرة. وفتح عينيه ونظر إلى ركن الطهى وانطبعت فى ذاكرته غلاية الشاي والزهور الذابلة المعلقة على حوض الغسيل. وبمجرد أن أغلق عينيه بدت له الزهور وغلاية الشاي كأشياء لا يمكن تخيلها، وساعد نفسه بأن كون جملاً من هذه الأشياء بمعنى أن تأليف قصة من هذه الأشياء يمكن أن ييسر له تخيلها. «صفرت غلاية الشاي فوق السخان الكهربائى. الزهور كانت مهداة للفتاة من أحد معارفها ولم يرفع أحد غلاية الشاي من فوق السخان» وفتح بلوخ عينيه حينما أصبح الأمر لا يطاق قائلاً لنفسه «هذا لا ينفع».

نامت الفتاة إلى جواره. أصبح بلوخ غاضباً بسبب ضغط الأشياء المحيطة به عليه عندما فتح عينيه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بسبب ضغط الكلمات الخاصة بالأشياء المحيطة، عندما يغلق عينيه. وفكر «هل يتعلق الأمر بأننى كنت نائماً معها». ثم ذهب إلى الحمام وأخذ وقتاً فى الاستحمام وبالفعل صفرت غلاية الشاي عندما عاد. وقالت الفتاة «لقد أستيقظت على صوت استحمامك».

وبدا لبلوخ وكأنها تكلمه مباشرة لأول مرة وأجابها بأنه لم يكن بجانبها بكامل وعيه تماماً. هل هناك غم فى إبريق الشاي؟ غم.

عندما مس الماء المغلى من الغلاية وريقات الشاي فى الإبريق، رأى بلوخ بدلاً من وريقات الشاي غملاً كالذى صب عليه ذات مرة ماءً مغلياً. وفتح الستار ثانية. وظهر الشاي فى الإبريق المفتوح بإضاءة خافتة كانعكاس للجدار الداخلى للإبريق بحيث جاء الضوء فقط من فتحة الغطاء المدورة الصغيرة. ونظر بلوخ الذى جلس على المائدة بجانب الإبريق إلى الفتحة بتمعن. وتلذذ من كونه مشدوداً باللمعة الخاصة لوريقات الشاي أثناء حديثه إلى جانب ذلك مع الفتاة. أخيراً ضغط بالغطاء على الفتحة وتوقف الكلام فى ذات الوقت. ولم تلاحظ الفتاة شيئاً وقالت اسمى «جيردا» ولم يرد بلوخ أن يعرف اسمها وسألها إن كانت لم تلاحظ شيئاً ولكنها وضعت اسطوانة وعزفت أغنية إيطالية بجيتار كهربائى وقالت «أنا أحب صوته». وسكت بلوخ الذى لم يستطع أن يبدأ أى شيء مع الضربات الإيطالية.

وعندما خرجت لوقت قصير لإحضار بعض الأشياء للإفطار كان بإمكان بلوخ أن يرى كل شيء بهدوء وقالت هي: اليوم الاثنين، أثناء الطعام تحدثنا كثيرا. وبعد مدة لاحظ بلوخ أنها تحدثت عن أشياء حكى لها عنها كما لو كانت بالفعل أشياءها الخاصة وعلى النقيض، عندما يذكر أشياء تحدثنا عنها، إما أن يروى بحذر أو إذا كان يتحدث بلغته الخاصة، فإنه يضع أدوات للإشارة للبعيد والغريب مثل ذلك وتلك كما لو كان خائفاً من أن تختلط خصوصياته بخصوصياتها.

وتحدثت عن موظف الاستقبال ولاعب كرة يدعى «شتوم» واستطاعت هي بسرعة وسهولة أن تقول بثقة «موظف الاستقبال» و«شتوم» وقال هو على العكس من ذلك عندما ذكرت اسم أحد معارفها ويدعى «فريدي» وحانة أسمها «شتيفان كيلر» في إجابته عن هذا كل مرة ذلك «الفريدي» وتلك الـ «شتيفان كيلر».

وأوقفه كل ما تناقشه فيه عن الاستمرار في المناقشة وضايقه أنها تستخدم، كما يبدو له، ما يقوله بعدم احتفاء.

وفي بعض المرات خلال الحديث بدا له أن الحوار أصبح طبيعياً مثلها. لقد سألها «هل هذه....» «لا هذه....» «أين تسكن؟» «في المقاطعة الثانية» وكان على وشك أن يحكى لها قصة العلقه ولكن ضيقه من كل شيء ازداد أكثر فأكثر. لقد أراد أن يجيبها ولكنه توقف لأنه تقبل ما يريد قوله كشيء معروف.

ثم أصبحت هي غير هادئة وأخذت تدرج الغرفة جيئة وذهاباً: لقد اختارت لنفسها بعض النشاط وابتسمت ببلاهة ومضى بعض الرقت في تقليب الاسطوانات وتغييرها ثم وقفت ووقدت على السرير: وجلس إلى جوارها وسألت عما إذا كان سيذهب إلى عمله اليوم؟

وفجأة خنقها، وضغط في الحال بقوة بحيث لم تستطع أن تفسر هذا على أنه مزاح وسمع بلوخ أصواتاً بالخارج أمام الباب، لقد أصيب بخوف الموت ثم لاحظ أن سائلاً ينزف من أنفها وأصدرت خواراً وسمع صوت قرقرعة وبدا له كما لو أن صخرة قد ألقيت فجأة على طريق زراعى غير ممد وأرتطمت بسيارة. وسالت قطرات اللعاب على الأرضية المشمع. كانت الصدمة قوية حتى أنه أصبح متعباً في الحال ووقد على الأرض غير قادر على التناس ولا

حتى على رفع رأسه. وسمع كما لو أن أحداً يضرب بفوطة على مقبض الباب وأصغى ولم يكن هناك شيء يمكن سماعه، لابد أنه قد غلبه النعاس.

ولم يحتج إلى وقت طويل لكي يستيقظ وبدا له منذ النظرة الأولى لاستيقاظه أن كل الأيمان مفتوحة وظن كما لو أن هناك تيار هواء ما في الغرفة وعند ذلك خدش بشرته وتوهم بأن سائلاً ليمفويًا يسيل من جسده كله. لقد كان واقفاً وكانت كل الأشياء قد نُظفت بفوطة الأطباق. ونظر من الشباك: في الأسفل جرى أحد الأشخاص على النجيل في اتجاه سيارة نقل وذراعه محمّل بالبدل المعلقة على حامل. وغادر المنزل بالمصعد، ومشى لبعض الوقت دون أن يغير اتجاهه وركب أخيراً أتوبيس الضاحية حتى محطة المترو: من هناك أكمل إلى داخل المدينة، وعندما وصل إلى الفندق تيقن من أنهم لتحسبهم عدم مجيئه ثانية قد احتفظوا بحقبة مستنداته. وبينما كان يدفع الحساب أحضر الصبي الحقيبة من المخزن. في دائرة فاتحة اللون أدرك بلوخ أنه لابد من وجود زوجة لبن بقاع رطب. وفتح الحقيبة بينما كان موظف الاستقبال يجمع الفكة ولا حظ بلوخ أن الحقيبة قد فُحصت محتوياتها: وقد رأى عصا فرشاة الأسنان من الفتحة وكان راديو الجيب موضوعاً بأعلى، والتفت بلوخ إلى الصبي ولكنه كان قد اختفى في غرفة المخزن، ولأن المساحة خلف مكتب الاستقبال كانت صغيرة نوعاً ما جذبته بلوخ بيده ثم أخذ نفساً ثم سدد له ضربة باليد الأخرى ورجع الآخر إلى الورااء بالرغم من أن بلوخ لم يصبه وظل الصبي في المخزن ساكناً. كان بلوخ قد خرج بالفعل بحقيبة المستندات. ووصل إلى مكتب مستخدمى الشركة في الوقت المناسب قبل راحة الظهر وأحضر الأوراق، وتعجب بلوخ من أن الأوراق ليست جاهزة وأنه يجب إجراء عدة مكالمات تليفونية. وعرض من جانبه أن يقوم هو بنفسه بالاتصال واتصل بزوجه السابقة وبدأ الطفل بالرد في الحال بجملة تعلمها: أن أمه ليست بالمنزل ووضع بلوخ السماعة. وفي هذه الأثناء كان الأوراق جاهزة، ووضع بطاقة ضريبة الدخل في حقيبة المستندات: وعندما سأل المرأة بعد ذلك عن الأجر الحالي كانت قد ذهبت وعد بلوخ النقود الخاصة بمكالمته على المنضدة ورحل. وكانت البنوك قد أغلقت وانتظر في حديقة ما حتى ما بعد الظهر حتى استطاع سحب نقوده من حسابه الجاري؛ فلم يكن لديه أبداً حساب ادخاري، وقرر أن يعيد الراديو الترانزيستور الجديد حتى لا يتمادى في إنفاقه. وذهب بالأوتوبيس إلى مقر إقامته بالحي الثاني وأحضر بطارية

إضاءة وماكينة حلاقة. وأوضحوا له فى محل بيع الأدوات الكهربائية أن المرء يستطيع أن يرد الأشياء عندما يشتري بدلاً منها أشياء جديدة. وعاد بلوخ إلى حجراته وأخذ معه فى حقيبة سفره كأسين وكانا آخر الكؤوس التى حصل عليها فريقه فى الكأس وميدالية وحذائين ذهبيين. وعندما لم يجرى أحد فى محل الروباييكيا، جمع الأشياء ووضعها على طاولة البيع وأصبح واضحاً له أن الأشياء التى قد وضعها على الطاولة كانت كما لو أنها قد قُبلت للبيع، وأخذها بسرعة من على الطاولة بل وأخفاها فى الحقيبة ووضعها على الطاولة ثانية بعدما طُلبت منه. ونظر إلى علبة موسيقية فى الخلف على الرف الذى يقف عليه الشكل المعتاد لراقصة من البورسيلين.

وكالعادة فإنه عندما رأى علبة موسيقية ظن أنه قد رآها بالفعل من قبل. وبدون مساومة قبل العرض الأول لشراء أشياءه.

واتجه إلى المحطة الجنوبية حاملاً على ذراعه معطفه الخفيف الذى أحضره من غرفته. وقابل فى الطريق بائعة الصحف التى اشترى منها الصحف فى الكشك وكانت تمشى بمعطف من الفرو وتحج معها كلباً. وبالرغم من أنه عندما كان يحضر الصحيفة غالباً ما يتحدث معها أثناء تبادل الجريدة بالعملة ناظراً إلى أناملها السوداء، لكنها الآن بدت له وكأنه لا يعرفها خارج الكشك. وعلى كل حال فلم تنظر هى إليه ولم ترد على تحيته. ولما لم يوجد هذا اليوم إلا عدد قليل من القطارات المتجهة إلى الحدود فقد أضاع بلوخ وقته حتى موعد رحيل القطار يدخل سينما أكتواليتيت ونام هناك. وفجأة أصبحت الدنيا مضيفة وأحس بتهديد الضجيج الناتج عن فتح أو غلق الستار يقترب منه. ولاكتشاف إذا ما كان الستار مفتوحاً أو مغلقاً فتح عينيه. وأضاء أحدهم بطارية جيب فى وجهه وأطاح بلوخ بالبطارية التى فى يد عامل السينما وذهب إلى دورة المياه الموجودة فى جانب السينما. وهنا كان الأمر هادئاً ودخل ضوء النهار، ووقف بلوخ لفترة ساكناً.

وتابعه عامل السينما وهدد باختصار الشرطة، وفتح بلوخ صنبور المياه وغسل يديه وضغط على جهاز التجفيف الكهربى ووضع يديه فى الهواء الساخن حتى اختفى عامل السينما. ثم غسل بلوخ أسنانه ونظر فى المرآة إلى كيفية غسيله لأسنانه بإحدى يديه بينما كور يده الأخرى بانسياب على شكل قبضة ثم وضعها بطريقة خاصة على صدره. وفى خارج السينما

سمع الضوضاء الصادرة من الرسوم المتحركة. وكان لدى بلوخ صديقة عرف أنها تدير الآن مطعمًا في منطقة الحدود الجنوبية. وبحث عن تليفونها في بريد المحطة حيث توجد أدلة لكل أنحاء البلاد ولكن بلا جدوى: توجد في المنطقة عدة محال، ولكن لا ذكر لأسماء أصحابها، وفوق ذلك أصبح حمل دليل التليفون- الأدلة موضوعة بظهورها فوق بعضها إلى أعلى- شيئًا كثيرًا بالنسبة لبلوخ وذلك في وقت قصير. وفكر فجأة «الوجه إلى أسفل». ثم دخل شرطى وطلب بطاقته. وقال الشرطى إن عامل السينما قد اشتكى، وبعد فترة، بينما كان يقلب في جواز سفر بلوخ وينظر إلى وجهه، قرر بلوخ أن يعتذر. وأعاد له الشرطى جواز سفره ملفتًا انتباهه إلى أنه قد تمادى. ولم ينظر بلوخ إليه ولكنه التفت بدليل التليفون وصرخ أحدهم: وعندما نظر بلوخ رأى أن أحد الوافدين اليونانيين يتكلم بصوت عال في كابينة التليفون المقابلة له. فكر بلوخ ثم قرر أن يسافر بالأوتوبيس بدلاً من القطار ثم بدل التذكرة وسار بالفعل إلى محطة السيارات، بعد أن اشترى شطائر السجق وبعض الصحف. وكان الأوتوبيس بالفعل واقفًا وكان مازال مغلقًا: ووقف السائقون على بعد ما يتحدثون معًا. وجلس بلوخ على دكة، وظهرت الشمس؛ ثم أكل شطائر السجق لكنه ترك الصحف بجانبه لأنه أراد أن يدهرها للرحلة التي تستغرق ساعات طويلة. وظلت الأماكن المخصصة للحقائب في جانب العربة خالية. ولم يأت أناس كثيرون بحقائب. وانتظر بلوخ كثيرًا خارج حتى أغلق الباب المتحرك في الخلف. ثم صعد من الأمام بسرعة وتحركت العربة. ثم توقفت ثانية على صوت نداء، ولم يلتفت بلوخ وصعدت فلاحه بطفل يبكي بصوت عال. وفي الداخل أصبح الطفل هادئًا وانطلقت العربة بعد ذلك ولاحظ بلوخ أنه جلس في المقعد الموجود فوق إطار العربة وكانت قدماء تنزلان من فوق الأرضية المنتفخة في هذا الموضع، ثم جلس ثانية على آخر حافة المقعد بحيث يستطيع عندما يكون الأمر هامًا أن ينظر إلى الخلف بارتياح، وعندما جلس رأى عيني السائق في المرأة الخلفية بالرغم من أن هذا لا معنى شيئًا. واستغل بلوخ التفاته لترتيب حقيبة المستندات خلفه لينظر إلى الخارج، ثم ترجع الأوتوبيس مصدرًا صوتًا عاليًا.

وأثناء ما كان المسافرون في الصفوف الباقية في العربة ينظرون إلى الأمام وقف الصفان الأماميان في مقابل بعضيهما: وتقريبا لم يتحدث المسافرون الذين جلسوا خلف بعضهم

البعض معاً بعد انطلاق الأوتوبيس، بينما أكمل الذين امامه الحديث بسرعة، وكانت أصوات الناس تعجب بلوخ: وسهل له ذلك أنه يمكنه السماع.

وبعد مرور بعض الوقت وصل الأوتوبيس إلى الشارع الرئيسي - لمحت له سيدة بأنه فقد بعض العملات، وقالت «هل هذه نقودك وأرتة كيف أخرجت عملة من الفتحة الموجودة ما بين المسند والمقعد، وفي وسط المقعد ما بينه وبين المرأة كانت هناك عملة ثانية... سنت أمربكى.

وأخذ بلوخ العملات، بينما كان يقول مجيباً من المؤكد أنه فقد العملات عندما كان يلتفت، ولكن المرأة لم تلحظ أن بلوخ قد التفت وبدأت في التساؤل وأجاب بلوخ ثانية وتدرجياً بالرغم من أنهما لم يجلسا بارتياح فقد تحدثا معاً قليلاً، ومنع الحديث والسماع بلوخ من إبعاد العملات. لقد كانت دافئة في يديه كما لو كانت مسحوة من شبك تذاكر سينما. وقال إن العملات غير نظيفة لأنها أُلقيت قبل بداية مباراة كرة قدم بقليل من أجل القرعة وقالت المسافرة «إنى لا أفهم شيئاً من هذا»، وفتح بلوخ الجريدة، وقالت ثانية «صورة أم كتابة» حتى أن بلوخ وجد أنه لا بد أن يطوى الجريدة ثانية. وقبل ذلك عندما جلس على المقعد فوق الإطار قطعت عروة المعطف الذى كان معلقاً على شماعة نتيجة الحركة المفاجئة التى جلس بها على ذيل المهمل. جلس بلوخ بجانب المرأة واضعاً المعطف على ركبتيه دون أية حماية.

وأصبح الطريق أكثر سوءاً، ولم يفلق الباب المتحرك تماماً ورأى بلوخ من خلال الفتحة كيف أن الضوء الخارجى ينير العربة بهيج. ودون أن ينظر، لاحظ الوهج على الصحيفة وقرأ سطرًا بسطر، ثم نظر وتأمل فى المسافرين فى الأمام وكلما كانوا يجلسون فى مكان أبعد كلما كانت مشاهدتهم أكثر راحة. وبعد مرور بعض الوقت لاحظ أن الوهج قد توقف فى العربة وساد الظلام فى الخارج.

وأصيب بلوخ الذى لم يكن معتاداً على إدراك كثير من التفاصيل بصداق فى رأسه ويمكن أيضاً أن يكون من رائحة الصحف التى لديه. ولحسن الحظ توقف الأوتوبيس فى مدينة أخرى حيث يُقدم للمسافرين وجبة عشاء فى إحدى أماكن الراحة. وبينما كان بلوخ يتجول فى الخارج استمع لعدة مرات إلى صوت حشجرة ماكينة السجائر الأوتوماتيكية فى داخل الحانة، وعند مدخل الحانة رأى كايينة تليفون مضاءة وكان هناك طنين فى أذنيه من دوى الأوتوبيس المار

حتى أن صوت قرقرعة الحصى أمام الكابينة قد أعجبه وألقى بالصحيفة فى صندوق المهملات بجانب كابينة التليفون وقرر « أننى أتنازل عن هدف جيد » سمع أحدهم يقول ذلك فى أحد الأفلام وكان واقفاً ليلاً بجوار النافذة.

لم يأت أحد. وبلوخ الذى كان فى الحلاء ثانية، فى ظل كابينة التليفون قد استمع إلى الدق العنيف لماكينة اللعب الأوتوماتيكية خلف الستائر فى مطعم الاستراحة. وعندما دخل الحانة، تبين له أنها تقريباً خالية؛ فمعظم المسافرين خرجوا. ثم شرب بلوخ - واقفاً - كوباً من البيرة ومشى فى الردهة: وجلس بعضهم بالفعل فى العرية ووقف آخرون عند الباب وتحدثوا مع السائق ووقف البعض الآخر بعيداً فى الظلام وقد أعطوا ظهورهم للعربة. بلوخ الذى أصابته تلك الملاحظات بالضيق تحسس فمه بيده، وبدلاً من أن يكتفى بالنظر بعيداً، أخذ ينظر إلى بعيد ليلمح أثناء ذلك فى الردهة المسافرين يخرجون من الحمامات مع أطفالهم. وعندما تحسس فمه بيده شم رائحة القيصرة فى مسند المقعد، وفكر بلوخ « أن ذلك غير حقيقى ». وصعد السائق وأدار الموتور كإشارة للآخرين بأن يصعدوا. وفكر بلوخ « وكأن المرء لم يفهمها هكذا ». وأثناء انطلاق الأتوبيس انتشرت فى الشارع الشرارات الناجمة عن السجائر الملقاة بسرعة من النوافذ. ولم يجلس أحد بجانبه ثانية. وأزاح بلوخ نفسه فى الركن إلى الوراء ووضع قدميه على حافة المقعد وفك رباط حذائه واستند إلى النافذة التى بجانبه ونظر إلى النافذة الأخرى وعقد يديه حول قفاه وضرب بقدمه بقايا خبز كانت على المقعد وضغط بذراعيه على أذنيه ونظر إلى كوعيه وضغط بباطن الكوع على صدغيه وتشتم أكماس القميص. وحك ذقنه بأعلى ذراعه وأراح رأسه ثانية ونظر إلى الإضاءة بالسقف. إنها لم تتوقف بعد!

ولم يعرف ما يمكن أن يساعده غير أن يعدل من جلسته. وكانت ظلال الأشجار التى تقف خلف المنحدر تدور أثناء السير حول الأشجار. ولم تظهر مسحتا الزجاج اللتان تستندان إلى حاجز الريح فى نفس الاتجاه، وبدت حبيبة التذاكر بجانب السائق مفتوحة. فى بحر العرية كان هناك شئ ملقى يشبه القفاز وكانت هناك أبقار نائمة فى المراعى بجانب الطريق. لم يكن الإنكار يفيد.

وتدريجياً كان المزيد من الركاب ينزلون فى المحطات الاختيارية. كانوا يقفون بجوار السائق الذى يسمح لهم بالنزول وعندما توقف الأتوبيس، سمع بلوخ الغطاء يتحرك فوق السقف. ثم

توقف الأوتوبيس ثانية واستمع بلوخ فى الخارج إلى نداءات تحية. وتعرف من بعيد على مزلقان قطار بدون حواجز.

وقبل منتصف الليل بقليل توقف الأوتوبيس عند منطقة حدود. وفى الاستراحة التى توجد بها المحطة حصل بلوخ فى الحال على حجرة، وسأل الفتاة التى قادته إليها عن إحدى معارفه التى يعرف فقط اسمها الأول وهو «هيرتا» واستطاعت الفتاة أن تخبره بأن صديقه قد استأجرت مطعمًا خارج المنطقة.

فى الغرفة سأل بلوخ الفتاة التى تقف بجوار الباب «ماذا تعنى هذه الضجة؟»، أجابت الفتاة «بعض الأطفال مازالوا يلعبون البولنج» ثم خرجت من الغرفة. ودون أن ينظر حوله، خلع ملابسه وغسل يديه وورقد فى السرير واستغرقت أصوات الدق والقرغ بأسفل بعض الوقت ولكن بلوخ كان قد أخذ بالفعل فى النعاس ولم يستيقظ من تلقاء نفسه ولكن لابد أن شيئًا أيقظه. وكان السكون سائدًا. وفكر بلوخ فيما يمكن أن يكون أيقظه: وبعد فترة من الوقت بدأ يتوهم أنه فزع من طى إحدى الصحف أو أنها صوت قرعة الدولار؟ أو قطعة عملة سقطت من البنطلون الملقى على الكرسي وجرت تحت السرير. ولح على الحائط لوحة معدنية تصور مكانًا ما وقت الحروب التركية: أمام الأسوار يسير المواطنون وخلفها كان الجرس معلقًا بشكل مائل حتى أن المرء لابد أن يقتنع بأنه يدق حاليًا بشدة. وفكر بلوخ كيف أن قارح الأجراس سيرفع إلى أعلى بحبل الأجراس: ورأى أن الناس فى الخارج قد توجهوا لباب السور. بعضهم كان يجرى بالأطفال على الأذرع وانتفض كلب بين ساقى أحد الأطفال حتى بدا أن الطفل قد تعثر. وأيضًا جرس الطوارئ فى برج الكنيسة كان مرسومًا وكأنه على وشك الانقلاب.

لم يكن هناك تحت السرير سوى عود ثقاب محترق. وفى الخارج بالممر بعيدًا عن الغرفة قرقع ثانية صوت مفتاح فى كالمون: غالبًا هذا هو ما أيقظه. وأثناء الإفطار سمع بلوخ أنه منذ يومين فقد طفل معوق وحكت الفتاة ذلك لسائق الأوتوبيس الذى بات فى الاستراحة، قبل أن يعود بالعربة خالية لحد ما، حسبما لاحظ بلوخ ذلك من النافذة. ثم ذهبت الفتاة بعد ذلك حتى أن بلوخ جلس وحيدًا لفترة طويلة وكوم الصحف على الكرسي الذى بجانبه: وقرأ أن الأمر لا يتعلق بطفل كسيح ولكن بتلميذ أبكم. وقالت الفتاة فى أثناء عودتها، على سبيل التوضيح، إنه سيتم شطف التراب فى الدور العلوى فوقه. ولم يعرف بلوخ ما يقوله إزاء ذلك.

ورنت أصوات الزجاجات فى الصناديق، وسمع بلوخ أصوات حاملى البيرة كما لو كانت آتية من التليفزيون وحكت الفتاة أن أم صاحب المطعم تجلس طوال اليوم فى الحجرة المجاورة وتشرف على نوبات العمل.

بعد ذلك اشترى بلوخ من محل للبضائع المتنوعة قميصاً وغيارات داخلية وبضعة جوارب وبدا أن البائعة التى أتت بعد وقت من المخزن المظلم بعض الشيء، لم تفهم بلوخ الذى تحدث فى كل جملة موجهًا كلامه إليها، وعندما أعاد عليها الكلام الخاص بالأشياء كلمة بكلمة بدأت تتزحزح عن موضعها. وعندما سحبت الصندوق من الخزانة، قالت بأنه قد وصلت إلينا أيضًا أحذية مطاطية برقبة بالفعل : وأيضاً أثناء تسليمه الأشياء فى حقيبة بلاستيكية، سألته ما إذا كان يريد شيئاً آخر: مناديل جيب، ربطة عنق، جاكيت صوف.

وفى الاستراحة بدل بلوخ ملابسه ووضع الغيارات المستخدمة فى الحقيبة البلاستيكية. وفى خارج المكان وعلى الطريق لم يقابل إلا عددًا قليلاً من المارة، وبجانب مبنى جديد توقفت ماكينة خلط الخرسانة. كان المكان هادئًا حتى أن بلوخ مر بخطواته وكأنها غير مسموعة. وبقي واقفًا يراقب الأغطية السوداء على أكوام الخشب الخاصة بورشة لتقطيع الأخشاب، كما لو أن هناك شيئًا آخر يمكن سماعه غير همهمة العمال الذين يجلسون للعداء خلف أكوام الخشب. واتضح له أن المطعم وبضعة بيوت للفلاحين وإدارة التفتيش الجمركى هى الموجودة بالمكان الذى يتجه فيه الطريق الأسفلتى فى منحنى للوراء: من الشارع يتفرع طريق بين البيوت وهو أسفلتى أيضًا، لكنه ملىء بالحصى بعد ذلك، ثم يعبر إلى قنطرة قبل الحدود بمسافة قصيرة، وممر الحدود مغلق ولكن بلوخ لم يسأل عما بعد ممر الحدود.

وفوق أحد الحقول رأى صقرًا يحلق، وعندما رفرف الصقر استدار لأسفل. لاحظ بلوخ أنه لم يراقب رفرفة الطائر ولكنه راقب المكان الذى من المفترض أن يحط فوقه الطائر، وبدأ الصقر فى الهبوط لأسفل ثم أخذ فى العلو ثانية. ومن الغريب أن بلوخ أثناء مروره فى حقل الذرة لم ير الطريق الممتد المؤدى إلى النهاية الأخرى للحقل، لكنه رأى فقط الغابة الكثيفة بالسيقان والأوراق والسنابل التى ظهرت فيها الحبوب المكشوفة فى أماكن متفرقة. وفوق ذلك؟ فقد كان خربير المياه فى الجدول الذى يمتد الشارع أعلاه عاليًا نوعًا ما، وتوقف بلوخ.

فى المطعم التقى بالنادلة التى كانت تمسح الأرضية فى ذلك الوقت، وسأل بلوخ عن المستأجرة وقالت النادلة «إنها ما زالت نائمة» وطلب بلوخ البيرة واقفًا. ومسحت النادلة كرسياً من جانب المائدة بينما أخذ بلوخ الكرسي الثانى وجلس.

وذهبت النادلة خلف البار ووضع بلوخ يديه على المائدة وبينما انحنحت النادلة وفتحت الزجاجه، أزاح بلوخ المنفضة بعيداً. وأخذت النادلة غطاء زجاجة بيرة من فوق مائدة أخرى ورجع بلوخ بالكرسي إلى الورا. وأخذت النادلة من فوق الزجاجه الكوب الذى كانت قد وضعت عليه. ووضعت غطاء الزجاجه على المائدة، ثم وضعت الكوب فوق المفرش وأمالت الزجاجه داخل الكوب ثم تركت الزجاجه على المائدة وذهبت وبدأت تلك الححالة مرة أخرى ! فبلوخ لم يعد يعرف ما يجب عليه أن يفعله.

أخيراً لمح قطرة كانت تسيل من الكوب من الخارج وساعة الحائط كانت عقاربها مصنوعة من عودى ثقاب، أحدهما كان مكسوراً وكان يعمل كعقرب للساعات: إنه لم ينظر إلى القطرة السائلة ولكن إلى الموضع على الغطاء الذى يمكن أن تسقط عليه القطرة فوق الغطاء، وسألته النادلة أثناء وضعها لمعجون الأرضية إذا ما كان يعرف المستأجرة أم لا. نعم، هز بلوخ رأسه بالإيجاب، قالها قبل أن تلتفت هى إليه.

ودخلت طفلة مسرعة، أعادتها النادلة إلى المدخل ثانية حيث خلعت حذاءها ذا الرقبة. وبعد تحذيرها للمرة الثانية أغلقت الباب وأوضحت النادلة «ابنة صاحبة المكان» وذهبت بالطفلة إلى المطبخ. وعندما عادت ثانية قالت إن رجلاً أتى إلى صاحبة الفندق قبل عدة أيام «ادعى أنه قد طُلب لحفر الآبار وكانت هى تريد أن تصرفه فى الحال ولكنه لم يستسلم بسهولة حتى أرتبه البدروم، حيث أخذ فى الحال آلة حفر حتى أنها طلبت العون ليرحل...» استطاع بلوخ لتوه مقاطعتها فى الحال قائلاً «الطفلة لديها خوف منذ ذلك الحين من أن يعود حفار الآبار». ولكن فى هذه الأثناء دخل موظف بالجمارك وجلس على البار وشرب كأساً من الخمر وسألته النادلة إذا ما كان الطفل المفقود قد عاد إلى منزله أم لا. وأجاب «لا لم يُعثر عليه بعد» وقالت النادلة «إن غيابه لم يتعد اليومين» ورد الموظف «ولكن الليالى بالفعل باردة بعض الشيء» وقالت النادلة «مع ذلك فقد كان مرتدياً ملابس ثقيلة» وقال الموظف إنه كان مرتدياً ملابس ثقيلة. وأضاف «أنه لا يمكن أن يكون بعيداً» وكررت النادلة بأنه لا يمكن أن يذهب

بعيداً. ولمح بلوخ فوق جهاز الموسيقى الأوتوماتيكي قرن أيل مكسوراً. وأوضحت النادلة أنه من أحد الأيائل التي أخطأت طريقها في حقل ألغام. وفي المطبخ استمع إلى ضجة بدت حينما استمع إليها كأصوات بشرية. ونادت النادلة عبر الباب المغلق وأجابت المستأجرة في المطبخ، وتحدثنا لبعض الوقت. وبعد ذلك وفي وسط الإجابة، خرجت المستأجرة وحياتها بلوخ. وجلست على مائدته ليس بجانبه ولكن في مواجهته، وضعت يديها على ركبتيها تحت المائدة. ومن خلال الباب المفتوح استمع إلى أزيز الثلاجة في المطبخ. وجلست الطفلة بجانبها وأكلت خبزاً. ونظرت المستأجرة إليه وكأنها لم تره منذ وقت بعيد» «لم نر بعضنا منذ وقت بعيد». وقص عليها بلوخ قصة تتعلق بسبب إقامته هناك. ومن خلال الباب وبعيداً بعض الشيء رأى الفتاة جالسة في المطبخ. ووضعت المستأجرة يديها على المائدة وأخذت في فتح كفيها وضمهما. وأحضرت النادلة المشروب الذي طلبه بلوخ لها. أى (منهما) ؟

وأثناء ذلك اهتزت الثلاجة في المطبخ. وتأمل بلوخ من خلال الباب قشر التفاح على مائدة المطبخ، وتحت المائدة كان هناك وعاء مليء بالتفاح: جرت بضعة تفاحات وظلت هناك على الأرضية. وكان هناك بنطلون عمل معلق على مسمار بهلق الباب. وأزاحت المستأجرة منفضة السجائر لتكون بينه وبينها. ووضع بلوخ الزجاجاة إلى الجنب ولكنها وضعت علبة الشقاب أمامها ووضعت كوبها أيضاً أمامها وأخيراً أزاح بلوخ كوبه وزجاجته إلى الجانب الأيمن وضحكت هيرتا. وجاءت الطفلة واستندت إلى الكرسي الذي تجلس عليه المستأجرة. لقد أرسلت لتطلب حطباً للمطبخ لكنها تركت الحطب يسقط عندما فتحت الباب بإحدى يديها وجمعت النادلة الخشب وحملته إلى المطبخ في حين كانت الطفلة مستندة إلى ظهر المستأجرة على الكرسي ثانية. وبدأ لبلوخ أن هذه الأحداث موجهة ضده. وطرق أحدهم من الخارج على النافذة ثم أبتعد في الحال ثانية. وقالت المستأجرة إنه ابن مالك الضيعة. ومر الأطفال بالخارج وجاء واحد منهم مسرعاً وضغط وجهه على زجاج النافذة ثم جرى ثانية وقال «لقد انتهت المدرسة». وأصبح المكان مظلماً لأن عربة أثاث قد توقفت بالخارج. وقالت المستأجرة «لقد أتى أثنائي» وكان بلوخ سعيداً بأن يقوم ويستطيع المساعدة في إدخال الأثاث، وأثناء حمل الأثاث انفتح باب الدولاب، وأغلقه بلوخ بقدمه. وعندما وضع الدولاب في غرفة النوم انفتح ثانية. وسلم أحد الحمالين المفتاح لبلوخ وأغلق الدولاب، وقال بلوخ إنه ليس المالك.

وبالتدريج كلما قال شيئاً تخيل نفسه فيه، ثم دعتة المستأجرة للطعام. بلوخ الذى لم ينو مطلقاً الإقامة عندها، رفض الدعوة. لقد أراد أن يعود فى المساء. وردت عليه هيرتا التى كانت تتكلم من الحجرة التى بها الأثاث، بينما هو على وشك الخروج، وعلى أية حال فقد بدت له إجابتها وكأنه سمعها تنادى. ورجع إلى صالة الطعام ثانية لكنه رأى، فقط من خلال الأبواب المفتوحة، النادلة تقف فى المطبخ بجوار الموقد بينما كانت المستأجرة فى حجرة النوم ترتب الملابس فى الدولاى وكانت الطفلة تؤدى واجب المدرسة على إحدى الموائد بصالة الطعام. وأثناء ذلك اختلط عليه صوت الماء المغلى على الموقد مع النداء.

لقد كان النظر داخل حجرة التفتيش الجمرى غير ممكن بالرغم من أن الشباك كان مفتوحاً عن آخره؟ لماذا بالرغم من؟

هل من الممكن أن يوجد أحد بالمكان لأن النافذة كانت مفتوحة؟

نظر بلوخ ثانية: بل إن زجاجة البيرة قد أبعدت من شباك النافذة كى تجعله ينظر. لقد سمع ضجيجاً كما لو أن زجاجة جرت تحت كنية، ومن ناحية أخرى فلم يكن متوقعاً أن بحجرة التفتيش الجمرى كنية. وأصبح من الواضح بعد ذلك أن هناك راديو قد فُتح. وعاد بلوخ إلى المنطقة ثانية ماشياً فى المنحنى الذى صنعه الشارع. وذات مرة بدأ يرتاح للجرى، وفى وضوح وبساطة قاده الشارع إلى داخل المنطقة.

سار لمدة طويلة ما بين المنازل وحولها، فى أحد المقاهى أدار بضعة اسطوانات بعد فتح صاحب المقهى لجهاز الموسيقى الأوتوماتيكى: وخرج قبل أن تدار كل الاسطوانات.

وسمع فى الخارج، كيف أن صاحب المقهى قد سحب الفيشة. وعلى الدكك جلس أطفال المدرسة الذين ينتظرون الأتوبيس. وظل واقفاً أمام كشك للفاكهة ولكنه أوقف نفسه بعيداً حتى لا تستطيع السيدة الواقفة خلف الفاكهة أن تخاطبه. لقد نظرت إليه وانتظرت أن يقترب خطوة، وقال طفل كان واقفاً لتوه أمامه، شيئاً. لكن السيدة لم تجبه. وعندما اقترب أحد الحراس من الخلف، تحدثت إليه على الفور، ولم يكن بالمكان كابينة تليفون وحاول بلوخ أن يتصل بأحد الأصدقاء من مكتب البريد وانتظر على إحدى الدكك فى صالة الزبائن، ولكن المكالمات لم تأت. فى هذه الأيام تكون الخطوط فوق طاقتها، سب بلوخ الموظفة وخرج.

وعندما كان خارج المكان ومر بجانب حمام سباحة رأى أن حارسين بدراجتيهما أتيا إليه بأردية بدون أكمام. فكر بلوخ : بالفعل كان الحارسان يحملان أردية بدون أكمام عندما توقفا عند بلوخ وعندما نزلا من الدراجة ولم يخلعا أربطة السراويل الخاصة بقيادة الدراجات عنهما. بدا لبلوخ أنه ينظر إلى علبة موسيقية: كما لو أنه رأى كل ذلك من قبل ولم يترك الباب الموجود بالسور الذي يقود إلى الحمام بالرغم من أنه كان مغلقاً. وقال بلوخ «إن الحمام مغلق» والحارسان اللذان أعطيا الملاحظات الموثوق منها، لم يبد مع ذلك أنهما كانا يعنيانها: فعلى أية حال رنت كلمات مثل «انصرف» و«اسمع» عن قصد كما لو كانت «طريق السير» و«ماعرز ببشر» وأخطأنا الحديث عن عمد عندما قالوا «ينتهي في الوقت المناسب» بدلاً من «بدى نفسك» و«يطلى» بدلاً من «بطاقات شخصية» XX.

لأن أى عقل لابد أن يدرك أن الحراس كانوا يحكون عن ماعز القلاح ببشر التي دخلت، عندما كان الباب مغلقاً، حمام السباحة ووسخت كل شيء هناك حتى حائط الحمام والمقهى حتى أن على المرء أن يعيد دهانها ثانية وأن الحمام لم يُنته منه في الوقت المناسب. لماذا ترك بلوخ الباب مغلقاً أيضاً، وكان عليه أن يستمر بطريق السير؟

وكيف أن الحارسين قد ألقيا بتحياتهما المعتادة على سبيل السخرية وهما يكملان طريقهما أم أنهما يفسران هذا بأنهما يريدان أن يقولوا شيئاً لبلوخ.

لم ينظر إلى الخلف من فرق كتفيه، ولكى يوضح أنه ليس لديه شيء يخفيه استند واقفاً إلى السور ونظر إلى داخل الحمام الخاوي.

طريق السير r. Gehsweg: انصرف geh weg !

beherzigen: انتبه، اسمع

Becher-ziegen: ماعز ببشر

Zur rechten Zeit fertigen: ينتهى في الوقت المناسب

ausweisen: بطاقات شخصية Ausweisen: يطلى باللون الأبيض ausweisen:

وفكر بلوخ « كما لو كان دولاباً مفتوحاً ذهبت إليه وأردت أن آخذ منه شيئاً » ولم يعرف بلوخ ماذا أراد من مبنى الحمام، وبعد ذلك أظلم المكان ، وأضاءت لافتات مباني البلدية فى طرف المكان.

وعاد بلوخ إلى المنطقة ثانية. وعندما جرت أمامه فتاتان فى اتجاه المحطة، وناداهما التفتتا إليه أثناء الجرى وردتا النداء. كان بلوخ جائعاً وأكل فى الفندق بينما كان التلفزيون مسموعاً من الحجرة المجاورة. وبعد ذلك ذهب بكوبه وشاهده حتى نهاية البرنامج حيث ظهرت لوحة نهاية الإرسال.

وأخذ المفاتيح وصعد. وفى أثناء نعاسه، اعتقد أنه يسمع بالخارج صوت عربة غير مضئمة تبدأ فى الحركة. وخاب أمله فى أن يعرف لماذا جاءت على باله عربة غير مضئمة، لا بد أنه نعس أثناء ذلك.

صحا على الضجيج والأنفاس بالشارع والتي تقلب بها أطنان القمامة فى عربة المهملات: وعندما نظر إلى الخارج رأى أن باب الأوتوبيس الذى انطلق فى الحال قد أغلق أكثر من مرة وأن أوانى اللبن قد وضعت على رصيف الشحن الخاص بعمل الألبان، فهنا فى الريف لا توجد عربات قمامة، وبدأ سوء التفاهم ثانية.

ولم بلوخ الفتاة على الباب وعلى ذراعها كومة من الفوط وعليه بطارية جيب، وقبل أن يصبح ملخوفاً كانت هى قد خرجت إلى الممر. واعتذرت، بداية من خلال الباب ولم يفهمها بلوخ لأنه كان ينادى عليها فى ذات الوقت. وتبعها إلى الممر وكانت بالفعل فى غرفة أخرى وبالتفاتين أكثر من واضحتين أغلق بلوخ باب غرفته ثانية.

بعد ذلك ذهب إلى الفتاة التى كانت قد ذهبت إلى عدة غرف وأوضح لها أن هناك سوء تفاهم. وأجابت الفتاة، بينما كانت تضع فوطة فى حوض الغسيل: نعم إن هناك سوء تفاهم، لا بد أنها خلطت بينه وبين سائق الأوتوبيس من بعيد على السلم حتى أنها ظنت أنه نزل لتدخل حجرته.

وقال بلوخ الذى وقف عند الباب المفتوح إنه لم يقصد ذلك ولكنها فى ذلك الوقت فتحت الصنبور بحيث رجته بعد ذلك أن يعيد جملة. أجاب بلوخ على ذلك أن بالحجرات دواليب

وصحارات وكومودينات كثيرة، كثيرة جداً. أجابت الفتاة نعم، ومع ذلك يوجد عدد قليل من المستخدمين في الفندق. ويدل الاختلاط السابق على أن هذا يؤدي إلى إرهاقها فوق اللازم. ولم يكن يريد أن يقول هذا بملاحظته عن الدواليب، أجاب بلوخ بأن المرء لا يستطيع الحركة في الغرف بطريقة صحيحة. وسألت الفتاة ماذا يعنى بذلك؟ ولم يجب بلوخ. لقد فسرت صمته بأن كورت الفوطه المتسخة، أو بالأصح أدرك بلوخ تكويرها للفوطه على أنه رد على صمته. وتركت الفوطه لتسقط فى الدلو: ولم يرد بلوخ ثانية مما دعاها إلى فتح الستار حتى أنه خرج سريعاً إلى الممر المظلم. ونادت الفتاة «لم أرد أن أقول ذلك» وسارت وراءه فى الممر. ولكن بلوخ تبعها أثناء توزيعها للفوط على الحجرات الباقية. وفى انحناء بالممر أصطدما بكومة من ملأات الأسرة المستعملة، كانت ملقاة على الأرض. وارتاح بلوخ وسقطت من الفتاة عليه صابون من فوق كومة الفوط. وسألها بلوخ إذا ما كانت تستخدم بطارية جيب فى طريق عودتها إلى المنزل وأجابت الفتاة التى اعتدلت ثانية بوجه أحمر أن لديها صديقاً. وسأل بلوخ ما إذا ما كان بالفندق حجرات ذات أبواب مزدوجة أيضاً، وأجابت الفتاة «إن صديقى لنجار». وقد قال بلوخ إنه شاهد فيلماً من قبل وفيه أن أحد لصوص الفنادق قد احتجز بين الأبواب المزدوجة. وقالت الفتاة «لم يضع شيء من حجراتنا حتى الآن» وفى الطابق الأسفل قرأ فى حجرة الاستقبال أنه بجانب عاملة التذاكر قد وجدت عملة أمريكية صغيرة من فئة الخمس سنتات. إن معارف عاملة التذاكر لم يكونوا ليروا مثل هذه العملات مع الجنود الأمريكيين وأيضاً فإن السياح الأمريكيين كانوا قليلين فى هذا الوقت داخل البلد. بخلاف هذا كان موجوداً على حافة إحدى الصحف شخبطات مثل التى يرسمها المرء أثناء حديثه بطريقة عرضية. ومن الواضح أن هذه الشخبطات لا تنتسب إلى عاملة التذاكر. وقد تم فحص إذا ما كان هناك احتمال بأن تصرح بشيء ما عن الزائر.

جاء صاحب الفندق إلى بلوخ عند المائدة ووضع أمامه استمارة التسجيل التى كانت موضوعة طوال الوقت بحجرة بلوخ. ملأ بلوخ الاستمارة بينما وقف صاحب الفندق ناظراً إليه من بعيد قليلاً. وفى الخارج فى ورشة قطع الأخشاب التقى المنتشار الألى بالحشب بينما سمع بلوخ دوى صوته وأنه شيء محرم.

وبدلاً من أن يذهب صاحب الفندق مباشرة باستمارة التسجيل خلف الكاونتر، دخل بها إلى الحجرة الجانبية وتحدث في الداخل مع أمه كما رأى بلوخ، وبعد ذلك بدلاً من أن يُتوقع من الباب المفتوح أن يجعله يخرج ثانية، استمر في الحديث بل وأخيراً قد أغلق الباب. ثم خرجت السيدة العجوز بدلاً من صاحب الفندق الذي لم يتبعها بل ظل كما هو في الحجرة الجانبية حيث شد الستائر، وبدلاً من إغلاق التلفزيون، فتح المروحة. ومن الناحية الأخرى دخلت الفتاة إلى صالة الاستقبال ومعها الكنيسة الكهربائية. وقد توقع بلوخ كما هو بديهى أن يراها تخرج بالماكينة إلى الشارع. وبدلاً من ذلك وضعت هي فيشة الماكينة في الكويس وأخذت في جرها هنا وهناك تحت الكراسي والموائد.

عادت أم صاحب الفندق إلى الحجرة عندما أغلق صاحب الفندق الستائر وأخيراً فصل التيار الكهربائي عن المروحة. وتراءى لبلوخ أن كل شيء يعود إلى انتظامه مرة أخرى.

وقد استعلم من صاحب الفندق إذا ما كانت توجد صحف متعددة يمكن قراءتها في هذه المنطقة؟ أجاب صاحب الفندق «فقط صحف أسبوعية ومجلة مصورة». وبلوخ الذى سأل عن ذلك أثناء خروجه وقد حشرت يده بين المقبض والباب أثناء ضغطه بكوعه على مقبض الباب إلى أسفل، ظل يستمع إلى الطريقة التى سأل بها صاحب الفندق عما كانت الفتاة تقصد، عندما صاحت خلف بلوخ قائلة «إن هذا هو السبب».

كتب بضعة كروت بريدية ولكنه لم يلقها في الحال، وعندما أراد فيما بعد أن يضعها في صندوق بريد كان معلقاً على سور خارج المكان رأى أنه قد تم تفريغه في الصباح. وقد اعتاد بلوخ أثناء وجوده في دورة تدريبية في أمريكا الجنوبية أن يلاً كروتاً، حيث كان على فريقه أن يرسل كروتاً إلى الصحف بتوقيعات اللاعبين. مر بجانبه فصل دراسي وكان الأطفال يغنون. وألقى بلوخ بالكروت ولكن الصندوق كان صغيراً جداً لدرجة أنه لم يُحدث دويًا.

بخلاف هذا أخذ بلوخ يكمل سيره وقد مشى لبعض الوقت عبر المزارع وأحس كما لو أن قطرة ثقيلة من المطر سوف تسقط فوق رأسه. أبطأ في السير. وبالقرب من الحدود بدأت الغابة في الظهور والتفت عائداً عندما ظهرت أول أبراج الحراسة على الناحية الأخرى من المنطقة المحايدة على الحدود.

وعند حافة الغابة جلس على جذع إحدى الأشجار ثم وقف ثانية ثم جلس مرة أخرى وأخذ يعد تقوده ونظر إلى أعلى. فبالرغم من أن الأرض كانت مستوية ولكنها تقوست إلى الداخل بالقرب منه، بينما بدت من هناك محطة صغيرة لتحويل الكهرباء، وقائم لوضع اللبن وحقل بضعة أشكال. كان هو هناك عند حافة الغابة.

كان جالساً في صمت حتى أن شيئاً لم يعد يخطر بباله. وفيما بعد، لاحظ أن هذه الأشكال التي كانت في الحقل هي بعض الحراس مع بعض الكلاب.

وبجانب إحدى شجيرات التوت وفي المنتصف تقريباً تحت ثمار التوت، وجد بلوخ دراجة أحد الأطفال فأوقفها حيث إن كرسيها قد تم رفعه بعض الشيء إلى أعلى كما لو كان ذلك لشخص بالغ.

وفي إطارها اشتبكت بعض أشواك التوت دون أن يتفد الهواء إلى الخارج بسبب ذلك. وفي الإطار المعدني للدراجة اشتبك جذع إحدى أشجار التوت بحيث أوقف حركة الدراجة. نزح بلوخ الجذع وترك الدراجة تسقط بغرض أن يستطيع الحراس رؤية انعكاسات فانوس الدراجة في الشمس من بعيد ولكن الحراس كانوا قد أكملوا سيرهم مرة أخرى مع الكلاب.

نظر بلوخ إلى أحد الأشكال التي كانت ممتدة في أحد الانحدارات. حيث لمعت أثار الكلاب وجهاز اللاسلكي. هل يغير ذلك اللمعان بشيء. هل كانت علامات لامعة؟ وبالتدريج فقد ذلك أهميته: وفيما بعد أخذت فوانيس السيارات تلمع على الطريق وعندما تغير اتجاه الشارع- بجانب بلوخ لمعت بعض الشظايا المهشمة لمرأة.

وبعد ذلك تلاأ الطريق من بقايا القطع اللامعة، وعندما ركب بلوخ الدراجة، اندفع الحصى تحت العجلة بعيداً. سار لمسافة قصيرة وأخيراً أسند الدراجة إلى محطة التحويل الكهربائي الصغيرة وتابع سيره على الأقدام.

قرأ أفيش سينما كان مثبتاً على قائم اللبن بالدبابيس بينما كانت الأفيشات الأخرى أسفله موزقة. تابع بلوخ سيره ورأى صبيلاً واقفاً في فناء بيت ريفي وقد انتابه فواق. وفي حديقة الفاكهة رأى زنابير تحلق. وفي مقدمة إحدى الطرق رأى بعض الزهور المتفتحة بداخل علب لحفظ الأغذية. وعلى جانب الطريق كانت بعض علب السجائر الفارغة ملقاة على النجيل.

وبجانب التوافذ المغلقة رأى خطاف النافذة معلقاً فى أحد المصراعين.

وعندما مر بجانب أحد التوافذ المفتوحة شم رائحة عطن. فى المطعم قالت له المستأجرة إن أحد الأشخاص قد مات بالمنزل المقابل بالأمس. وعندما أراد بلوخ أن يذهب إليها فى المطبخ، جاءت إليه عند الباب ومرت من أمامه إلى صالة الطعام. لاحقها بلوخ وذهب إليها عند المائدة فى أحد الأركان ولكنها كانت قد جلست على مائدة عند الباب. وعندما هم بالحديث جاءت إليه فى الحال. وعندما كان يريد أن يلتفت انتباهها إلى أن النادلة ترتدى حذاءً طبيًا، أشارت هى بالخارج إلى الشارع حيث مر أحد الحراس وهو يدفع أمامه دراجة طفل وقالت «إنها دراجة التلميذ الأكبر».

أتت النادلة وفى يدها إحدى المجلات المصورة وأخذ الاثنان معاً ينظران إلى الخارج، بينما سأل بلوخ إذا ما كان حفار الأبار قد جاء ثانية، فبدأت المستأجرة التى لم تسمع غير كلمة «جاء ثانية» فى الحديث عن الجنود فقال بلوخ بدلاً من «جاء ثانية» «عاود مرة أخرى»، فأخذت المستأجرة تتحدث عن الطفل الأكبر وقالت النادلة «ولم يستطع حتى أن يطلب العون» أو بالأصح كانت تقرأ تعليقاً على إحدى الصور بالمجلة. وروت المستأجرة أنه فى أحد الأفلام قد اختلطت مسامير الأحذية بعجينة الفطائر.

سأل بلوخ عن وجود نظارات ميدانية فى مواقع أبراج الحراسة حيث إنه على أية حال، كان هناك شىء يومض من أعلى «إن أبراج الحراسة لا يمكن رؤيتها من هنا على الإطلاق» إحدى السيدتين أجابت بهذا، فيما رأى بلوخ أن بوجهها آثار دقيق من خبز الفطائر، وبخاصة على الحواجب وخصلات الشعر. خرج إلى الفناء وعندما لم يتبعه أحد، عاد مرة أخرى واستند إلى جهاز الموسيقى الأوتوماتيكي، حيث كان يجانبه مكان آخر للجلوس بينما جلست النادلة خلف الكاونتر وانكسر منها أحد الأكواب. وخرجت المستأجرة من المطبخ على الصوت ولم تنظر إلى النادلة بل نظرت إليه. فأخفض بلوخ صوت الموسيقى بأن أدار الزر الذى كان خلف الجهاز الموسيقى ثم رفعه مرة ثانية عندما وقفت المستأجرة عند الباب. مرت المستأجرة أمامه من خلال صالة الطعام، كما لو أنها كانت تريد أن تغادر الحجرة. وسألها بلوخ كم من الإيجار يجب أن تدفعه إلى مالك الضيعة. بهذا السؤال، وقفت هيرتا فى مكانها، بينما كانت النادلة قد كنست شظايا الزجاج فى الجاروف.

ذهب بلوخ إلى هيرتا، لكن المستأجرة مرت بجانيه إلى المطبخ فتبعها بلوخ إلى الداخل حيث جلست قطة على الكرسي الثانى هناك فوقف بجانيها. قالت إن ابن مالك الضيعة صديقها. استند بلوخ على الشباك وأخذ يسألها عنه، فأخذت تصف ما فعله ابن مالك الضيعة ويدون سؤال أخذت تتحدث باستفاضة. وعلى حافة الموقد رأى برطماناً ثانياً لحفظ الأغذية، بينما كان يقول نعم من وقت لآخر وفى سروال العمل المعلق على الباب رأى مقياساً للسنتيمترات. عندئذ قاطعها متسائلاً عن الرقم الذى بدأت تعد منه: فتهدج صوته وتوقفت تماماً عن تقطيع قلب النواة من داخل التفاح. فقال بلوخ إنه قد لاحظ على نفسه منذ فترة قصيرة عادة أنه أثناء العد يبدأ دائماً برقم اثنين.

على سبيل المثال فى صباح اليوم أثناء عبوره الشارع كان على وشك أن يقع تحت عجلات إحدى السيارات. ذلك لأنه ظن أن هناك وقتاً كافياً لمرور العربة الثانية بينما لم يحسب ببساطة العربة الأولى فأجابت المستأجرة بقول مأثور. ذهب بلوخ عند الكرسي ودفعه للخلف فقفزت القطة إلى أسفل. جلس وتحرك مقترباً بالكرسي من المائدة فصدم بالخلف مائدة لوضع الأشياء فسقطت زجاجة البيرة إلى أسفل وجرت تحت كنية المطبخ. فتساءلت المستأجرة لماذا دائماً ما يجلس ويقف ويذهب بعيداً ويلتف ويعود؟ هل يريد بذلك أن يهزأ بها.

وأخذ يقرأ لها من إحدى الجرائد نكتة عن بقايا التفاح وذلك بدلاً من أن يجيبها عن سؤالها. كانت المجردة ظاهرة منه للخارج فى وضع مقلوب وقرأ منها بصوت متهدج وقد وفرت عليه المستأجرة القراءة بأن تعجبه.

وبالخارج كانت النادلة تضحك. وبداخل حجرة النوم سقط شئ ما على الأرض ولم يتبع ذلك صوت ثان. وبلوخ الذى لم يسمع أيضاً من قبل أى صوت. كان يريد أن يتطلع لذلك ولكن المستأجرة أوضحت له أنها قد سمعت منذ قليل أن الطفلة قد استيقظت وكالعادة ستقوم من سريرها وتأتى فى الحال إلى هنا حتى تطلب قطعة من الجاتوه. وفى الواقع سمع بلوخ بعد ذلك صوتاً كالتهند وقد برر بلوخ ذلك لنفسه بأنه ربما سقطت الطفلة على الأرض بجانب السرير ولم تستطع أن تعرف ما يجب عليها أن تفعله، وفى المطبخ حكّت الطفلة أنه كان هناك بعض الذباب تحت الوسادة. وقد أوضحت المستأجرة لبلوخ أن أطفال الجيران كانوا

ينامون عندها بسبب حالة الوفاة، وأثناء وجود جثمان المتوفى بالمنزل. وقد اعتادوا على ضرب الذباب على الحائط بحلقات من المطاط. وكانوا يفعلونها ويضعون الذباب الساقط على الأرض، تحت الرسادة في الليل.

وبعدما ضُغِطت بعض الأشياء في يد الطفلة- وتركت بعضاً منها يسقط- عادت تدريجياً إلى هدوئها. وقد رأى بلوخ كيف خرجت النادلة من حجرة النوم بيد مجوفة، ذلك حتى تلقى بالذباب في سلة المهملات. وقال بلوخ إنه ليس له ذنب في هذا. وفي الخارج رأى عربة الخبز متوقفة أمام منزل الجيران وكيف وضع السائق رغيفين من الخبز على عتبة المنزل، رغيف أسود وقوقه رغيف أبيض. أرسلت المستأجرة الطفلة للرجل عند الباب. سمع بلوخ الصوت الذي صبت به المستأجرة الماء على يديها. قالت المستأجرة «دائماً ما يعتذر بطريقة جيدة» وسأل بلوخ «حقاً؟»، وأثناء ذلك عادت الطفلة برغيفين إلى المطبخ. ورأى بلوخ النادلة تسح يديها في الميلة بينما كانت ذاهبة إلى أحد الزبائن، ماذا يود أن يشرب؟ من؟ لا شيء متاح الآن، هكذا كانت الإجابة. ثم أغلقت الطفلة باب المطعم.

قالت هيرتا «الآن نحن وحدنا». نظر بلوخ إلى الطفلة التي كانت واقفة عند الشباك ناظرة إلى منزل الجيران فقالت «إنها لا تحسب» فأدرك بلوخ هذا على أنه نوع من إخباره بأنها تريد أن تقول له شيئاً ما ولكنها كانت تقصد أيضاً أنه يمكنه أن يبدأ الحديث. ولم يخطر ببال بلوخ شيء فقال «شيء مقزز» فأرسلت الطفلة في الحال إلى الخارج. وضع يده بجانبها فتحركت هي نحوه بهدوء فأمسك ذراعها بخشونة وتركه مرة أخرى. في الخارج قابل الطفلة التي أخذت تنقر طلاء حائط المنزل بأحد عيدان الغاب. نظر إلى بيت الجيران من خلال النافذة المفتوحة.

على خشبة الرقاد رأى المتوفى وجانبيه تابوت. وفي أحد الأركان جلست امرأة على كرسي خشبي صغير حيث كانت تغمس خبزاً في أنية مملوءة ببنيد طازج، وخلف المائدة على أريكة تمدد غلام صغير على ظهره، حيث كان نائماً، وعلى بطنه رقدت قطة. وعندما دخل بلوخ إلى البيت تزحلق في المر على قطع الخطب. أتت الفلاحة عند الباب. دخل هو وتحدث معها. نهض الغلام ولكنه لم يتكلم بينما خرجت القطة جرياً فقالت الفلاحة «لقد ظل مستيقظاً طوال الليل».

وقد وجدته فى الصباح ثملاً بعض الشيء. التفتت نحو المتوفى وأخذت تصلى وبين هذا وذاك كانت تغير ماء الزهور، وقالت «لقد تم ذلك سريعاً جداً وكان علينا أن نوقظ الطفل ليذهب إلى المنطقة فى الحال، ولكن الطفل لم يستطع أن يقول للقس ما حدث، ولم يبق جرس الكنيسة. وقد لاحظ بلوخ أن المكان قد تمت تدفئته. وبعد قليل من الوقت تساقطت فسخ الحطب داخل الفرن فقالت الفلاحة «أحضر بعض الحطب».

عاد الغلام ببعض الحطب الذى كان يحمله بكلتا يديه اليمنى واليسرى، وتركه ليسقط بجانب الفرن وقد أثار ذلك القبار من حوله. قالت الفلاحة «لدينا طفل قتلته ثمار القرع».

أمام النافذة ألقت عجوزان السلام أثناء مرورهما. وعلى إطار النافذة ملح بلوخ حقيبة يد سوداء قد تم شراؤها حديثاً ولم يكن ورق الحشو بداخلها قد تم إخراجها بعد.

قالت الفلاحة «لقد أخذ نفسه مرة واحدة مغبطاً ثم مات».

وقد استطاع بلوخ أن يرى المطعم فى الجهة المقابلة حيث كانت الشمس شبه عمودية وقد أشرقت من بعيد داخل المطعم وأظهرت الجزء الأسفل منه وأنارت بالأخص خشب الأرضية الذى تم تركيبه حديثاً وأرجل الكراسى وأسطح الموائد والأشخاص وبدوا وكأنهم ينيرون من تلقاء أنفسهم.

وفى المطبخ رأى ابن صاحب الضيعة وقد استند على الباب ووضع ذراعيه فوق صدره وتحديث من مسافة قريبة من المستأجرة التى ظلت جالسة على المائدة، وكلما غاصت الشمس بعمرق إلى أسفل، كلما تراءت هذه الصور لبلوخ أبعد وأعمق. لم يستطع أن يرى الطريق، أولاً لأنه كان هناك أطفال يجرون فى الشارع ذهاباً وإياباً قاطعين عليه الرؤية وأخيراً لأنه قد دخل طفل بعد ذلك ومعه إحدى باقات الزهور التى وضعتها الفلاحة فى كوب وضعت الكوب على حافة خشبة الرقاد. ظل الطفل واقفاً مكانه وبعد قليل أعطته الفلاحة إحدى العملات المعدنية ثم خرج الطفل.

سمع بلوخ صوتاً كما لو كان شخصاً قد وقع على الأرض ولكنه لم يكن ثانية سوى صوت تهاوى الحطب فى الفرن. وبمجرد أن انتهى بلوخ من حديثه مع الفلاحة كان الغلام قد تمدد على الدكة وتام ثانية. وفيما بعد أتت بعض السيدات وأخذن يصلين أمام أكاليل الزهور، ومسح

شخص أمام محل البقالة الكتابة الطباشيرية من فوق سبورة سوداء وكتب عليها: برتقال، كراميل وسردين.

وفى الحجره كان صوت الكلام قد أصبح خفيضاً، وفى الخارج أحدث الأطفال ضجيجاً عالياً. اشتبك خفاش فى الستار واستيقظ الغلام فى هرع قافزاً على أثر صرخة الخفاش وانقض عليه فى الحال ولكن الخفاش كان قد طار إلى الخارج. كان وقت الغسق ولم يكن لأحد رغبة فى إضاءة المصابيح.

وفى الجهة المقابلة كان المطعم فقط هو المضاء قليلاً بسبب جهاز الموسيقى. ولكن لم يتم إدارة أية أسطوانات. وفى الجانب كان المطبخ معتماً. كان بلوخ مدعواً على العشاء وأكل مع الآخرين على المائدة. والآن وبالرغم من أن الشباك قد أغلق فقد حام الناموس بالداخل. لذلك أرسل طفل لإحضار أغذية زجاجات البيرة التى وضعت فوق الأكواب كي لا يسقط الناموس بداخلها. لاحظت إحدى السيدات أن مشبك سلسلتها قد فُقد. بدأ الجميع فى البحث عنه. ظل بلوخ جالساً على المائدة. وبعد قليل وافته الرغبة فى أن يكون هو واجده، فانضم للآخرين. وعندما لم يتم العثور عليه بالحجرة، بدأوا يبحثون فى الممر بالخارج. وأثناء ذلك سقط جاروف ولكن بلوخ استطاع أن يسك به قبل أن يسقط تماماً. أضاء الغلام المكان ببطارية جيب وأتت الفلاحة بمصباح بترول، طلب بلوخ بطارية الجيب وخرج إلى الشارع ومشى منحنيًا بين الحصى ولكن أحداً لم يتبعه. بينما سمع هو شخصاً يصيح فى الممر بأنه قد عثر على مشبك السلسلة ولم يرد بلوخ أن يصدق واستمر فى بحثه، ثم سمع بعد ذلك كيف استمرت الصلاة خلف النافذة مرة أخرى. ومن الخارج وضع بطارية الجيب على حافة النافذة ثم انصرف.

مرة أخرى بالمكان جلس بلوخ فى المقهى وأخذ يشاهد لعب الورق ثم بدأ فى الجدال مع اللاعبين الذى كان جالساً وراءه بينما طالبه اللاعبون الآخرون بأن يذهب بعيداً عنهم. ذهب بلوخ إلى الحجره الخلفية حيث كانت هناك محاضرة تلقى بالاستعانة بالشرائح المصورة، وشهد المحاضرة لبعض الوقت حيث كانت تدور حول موضوع المستشفيات الدينية فى جنوب شرق آسيا. وبدء بلوخ الذى تحدث أثناء ذلك بصوت عال فى الجدال مع الناس مرة أخرى.

وفكر فى أنه كان عليه أن يعود ثانية ولكن لم يخطر بباله ماذا يمكنه أن يقول. ذهب إلى المقهى الثانى. كان يريد أن يغلق المروحة هناك غير أن الإضاءة كادت تكون خافتة للغاية،

ذلك ما قاله هو. وعندما جالسته النادلة تظاهر بعد وقت وكأنه يريد أن يحيطها بذراعه. وقد لاحظت هي أنه فقط يريد أن يفعل ذلك فتراجعت قبل أن يستطيع أن يفعل ذلك بشكل واضح. وأراد بلوخ أن يبرأ نفسه بأن يضع ذراعه حولها حقاً، ولكنها كانت قد قامت بالفعل. وعندما أراد بلوخ أن يقوم، انصرفت النادلة، والآن رغب بلوخ في أن يتصرف كما لو أن عليه أن يتبعها. ولكن هذا كان كثيراً بالنسبة له فترك المكان. وفي حجرته استيقظ قبل الضحى بقليل. وفجأه أصبح كل ما يحيط به لا يطاق. وفكر لو أنه بالفعل قد استيقظ في هذا الوقت المحدد قبل الضحى بفترة قصيرة وبدقة واحدة أصبح كل شيء لا يطاق. كانت المرتبة التي رقد عليها قد غاصت، والدواليب والكومودينات كانت بعيدة عن الحوائط، والسقف كان عالياً بطريقة لا تحتمل.

لقد كان كل شيء ساكناً في الغرفة شبه المظلمة، وفي الخارج في الممر وقبل كل شيء في الشارع لدرجة أن بلوخ لم يعد يحتمل على الإطلاق. ولبسه نوع من الاشتمزاز القوي، فتقياً في الحال في الحوض وأخذ يتقياً بعض الوقت دون هواده. ورقد ثانية على السرير. لم يكن مصاباً بدوار بل رأى على العكس من ذلك كل شيء في توازن لا يطاق. ولم ينفع بشيء أنه انحنى من النافذة ليتطلع إلى الشارع بأسفل، كان هناك غطاء موضوع على عربة معطلة، وبالدخل نظر إلى ماسورتي المياه المتوازيتين على الحائط والمحاطتين من أعلى ومن أسفل بالسقف والأرضية. كان كل ما رآه محدداً بطريقة لا تطاق. ولم تقل رغبته في القىء، بل اعتصرته وقد خطر بباله كما لو أن إحدى العتلات قد أعاقته عما يراه أو الأصح كما لو أن الأشياء المحيطة به ستنتشل من من أمامه إلى أعلى. الدولا ب، حوض الغسيل، حقيبة السفر والباب؛ فقد خطر بباله كما لو أنه مجبر على التفكير في كلمة لكل شيء، ولكل ما هو مرئى من الشيء كلمة تتبعه في الحال. الكرسي، الشماعة، المفتاح. كان كل شيء هادئاً قبل ذلك، فلم تتمكن الأصوات من أن تحيده عما هو فيه: لأن الغرفة من حوله كان بها ضوء ساطع، هذا من ناحية، فقد استطاع أن يرى الأشياء من حوله، بينما لم تستطع الأصوات من ناحية أخرى أن تحول انتباهه، حيث كانت الأمور هادئة. وهكذا كان له أن يرى الأشياء كما لو كانت في نفس الوقت إعلاناً عن نفسها.

وفي الحقيقة كان الاشتمزاز مماثلاً لذلك الاشتمزاز الذي كان لديه أحياناً إزاء نوع معين من

الأبيات الدعائية أو الألقان الصاخبة الإيقاع أو أناشيد وطنية يتمتم بها أثناء نومه أو شخيرته. أوقف تنفسه مثلما يفعل في حالة الفواق وأثناء الشهيق يعود ذلك مرة أخرى. ثم يوقف تنفسه مرة ثانية. وأعانه ذلك بعد قليل من الوقت وأخذ في النعاس.

في صباح اليوم التالي لم يعد قادراً على تصور كل ذلك على الإطلاق. كانت حجرة الاستقبال مرتبة بينما سار موظف ضرائب متجولاً بين الأشياء وجعل المالك يقول له الأسعار.

عرض المالك على الموظف حسابات ماكينة القهوة والشلاجة. إن ما قاله الاثنان عن الاسعار قد جعل بلوخ يتصور أن حالاته في الليل مثيرة للسخرية. أبعد بلوخ الصحف عنه بعد التصفح الأول لها وأخذ فقط يستمع إلى موظف الضرائب، الذي أخذ يتجادل مع المالك حول ثمن ثلاجة حفظ الطعام.

وأدت أم المالك والفتاة أثناء ذلك وتحدثوا جميعاً مع بعضهم مما جعل الأمر يختلط على بلوخ. وتساءل كم يمكن أن يكلف تجهيز غرفة لإحدى اللوكاندات، ورد المالك بأنه قد اشترى الأثاث بشمن بخس حقاً من فلاحين بالمنطقة إما قد انتقلوا أو رحلوا بعيداً وذكر سعراً لبلوخ وأراد بلوخ أن يعرف الثمن مقدماً لكل قطعة على حدة. وأخذ المالك من الفتاة قائمة جرد الحجرة وأخذ يذكر أثناء ذلك ثمن كل قطعة اشتراها وأيضاً الثمن الذي اعتقد أنه يستطيع أن يبيع به ثمانية صحارة أو دولاً وموظف الضرائب الذي كان يكتب ملاحظاته حتى هذه اللحظة لم يدون ذلك بل طلب من الفتاة كأساً من النبيذ. كان بلوخ مرتاحاً لذلك وأراد الرحيل وقد أوضح موظف الضرائب أنه عندما يرى قطعة أثاث على سبيل المثال غسالة يسأل عن السعر في الحال وعندما يرى قطعة الأثاث مرة أخرى على سبيل المثال غسالة من نفس السلسلة (الموديل) فإنه لا يتعرف عليها مرة أخرى من خلال الملامح الخارجية أي ليس من خلال أزرار برنامج الغسيل ولكن فقط ودائماً تكلف قطعة الأثاث على سبيل المثال غسالة من الرؤية الأولى لها. بالتأكيد إنه يلحظ السعر بدقة ويتعرف ثانية بهذه الطريقة على كل قطعة. وسأل بلوخ وعندما لا تكون القطعة ذات قيمة؟

رد موظف الضرائب بأنه ليس له أية علاقة بالقطع التي ليس لها قيمة تجارية على الأقل ليس في مزاوله المهنة. ولم يكن التلميذ الأبكم قد عُثر عليه حتى ذلك الوقت. وبالفعل تمت مصادرة الدراجة ومعاينة المكان ولم يوجد أي طلق نارى يمكن اعتباره إشارة إلى أن أحد

الحراس قد وجد شيئاً. على كل حال فقد كان صوت مجفف الشعر خلف البارافان الموجود داخل محل الخلاقة الذى ذهب إليه بلوخ عالياً جداً لدرجة أنه لم يسمع أى شىء.

وكان بلوخ قد خلق قفاه تماماً بينما أخذ الحلاق فى غسيل يديه ونفضت الفتاة ياقة بلوخ بالفرشاة. والآن أغلق مجفف الشعر وأخذ يسمع كيف قُلبت بعض الأوراق وراء البارافان. كان هناك صوت قرقعة. ولكنه لم يكن سوى سقوط إحدى بكرات الشعر فى إناء من الصفيح خلف البارافان.

وسأل بلوخ الفتاة عما إذا كانت تذهب إلى بيتها فى راحة الغداء، وأجابت الفتاة بأنها ليست من المنطقة وهى تأتى كل يوم بالقطار وأنها تجلس فى الظهر فى إحدى الكافيتريات أو تبقى مع زميلتها فى المحل. وقد تساءل بلوخ ما إذا كانت تشتري كل يوم تذكرة عودة، وأجابت الفتاة أنها تشتري تذكرة أسبوعية.

وسأل بلوخ فى الحال «كم ثمن التذكرة الأسبوعية؟» وقبل أن ترد الفتاة قال هو «إن هذا شىء لا يخصنى» وبالرغم من ذلك ذكرت الفتاة السعر وقالت زميلتها خلف البارافان «ولماذا تسأل سيادتكم طالما أن هذا لا يخصك؟» وبلوخ الذى كان واقفاً بالفعل، أخذ يقرأ قائمة الأسعار أثناء انتظاره لبقية النقود.

وقد لاحظ فى نفسه رغبة غريبة فى أن يعرف ثمن كل شىء. وقد انشرح صدره عندما رأى زجاج محل بقالة مكتوب عليه بلون أبيض البضائع الجديدة التى وصلت وأثمانها، وقد سقطت إحدى لافتات الأسعار داخل إحدى صناديق الفاكهة أمام المحل وقد أوقفها هو، وكانت هذه الحركة كافية، لأن يخرج أحدهم ويسأله إذا ما كان يريد أن يشتري شيئاً ما. وفى محل آخر ألف كرسى هزاز بفستان طويل. وقد وُضعت ورقة بالسعر على الكرسى الهزاز وكان بلوخ حائراً إذا ما كان المقصود بالسعر الكرسى أو الفستان: فواحد من الاثنين يجب ألا يكون للبيع. وقد وقف لمدة طويلة أمام المحل حتى خرج أحدهم إليه مرة أخرى وسأله فرد السؤال بسؤال فأجيب عليه أن دهبس ورقة السعر يمكن أن يسقط من الفستان ولكن من الواضح أن ورقة السعر لا يمكن أن تخص الكرسى الهزاز، الذى هو بالتأكيد ملكية خاصة. وقال بلوخ قبل أن يستمر فى سيره إنه كان يريد أن يستعلم عن الأسعار فقط. وقد نادى عليه أحد

الأشخاص ليخبره أين يمكن أن يباع كرسي هزاز مائل فى الصنع. وفى الكافيتريا سأل عن ثمن آلة موسيقية. وقال المالك إنها لا تخصه وأنها فقط مستعارة. وقد رد بلوخ عليه بأن هذا لا يعنيه حيث إنه كان يريد فقط معرفة الثمن. وبمجرد أن ذكر المالك الثمن شعر بلوخ بالرضا. ولكن المالك قال إنه غير متأكد. فبدأ بلوخ يتساءل عن أشياء أخرى فى المحل منها أشياء على المالك أن يعرف ثمنها لأنها تخصه. فى حين تحدث المالك بعد ذلك عن حمام السباحة الذى ارتفعت تكلفته بنائه عن الحساب التقديرى بدرجة كبيرة، وسأل بلوخ «كم تقريباً؟» ولم يعرف المالك بينما نفذ صبر بلوخ وتساءل «كم بلغت تقريباً الحسابات التقديرية؟» ولم يستطع المالك مرة أخرى أن يقول شيئاً. وعلى كل، ففى بداية العام الماضى وُجد أحد القتلى فى إحدى الكبائن والذى لابد أنه كان راقداً هناك طوال فترة الشتاء وكانت الرأس قد وضعت فى حقيبة بلاستيكية. وكان الأمر متعلقاً بأن القتل كان أحد الفجر. وفى المنطقة هناك بعض الفجر المستقرين، وقد بنوا بعض المآوى الصغيرة على حافة الغابة من التعويضات عن مدة الحبس داخل معسكرات التعذيب.

قال المالك «لابد أنها نظيفة من الداخل».

أما الحراس الذين استمروا فى بحثهم عن التلميذ المفقود، فقد أستجوبوا السكان واندشوا من الأرضيات المغسولة مؤخراً. وعامة من نظام الحجرات الداخلية واستطرد المالك قائلاً بأن ذلك هو تماماً ما جعل الشك يزداد. لأنه لا يوجد سبب يمكن أن يجعل الفجر يغسلون الأرضية، ولم يتراجع بلوخ عما يريد وسأل ما إذا كان تعويض البناء كافياً، ولكن المالك لم يستطع أن يقول كم كان التعويض وقال «إنه فى تلك الأيام كانت مواد البناء والأيدى العاملة رخيصة». قلب بلوخ بلفه إيصال دفع كان ملصقاً على أحد أكواب البيرة وسأل «هل له قيمة؟». وأثناء ذلك أدخل يده فى جيب الجاكت ووضع حجراً على المائدة وقد أجاب المالك دون أن يسك الحجر فى يده بأن مثل هذه الحجارة يمكن أن يجدها فى السقط واللقط. ولكن بلوخ لم يرد عليه بشيء، عند هذا أخذ المالك يدير الحجر فى يده الفارغة ثم وضعه فى مكانه مرة أخرى على المائدة : أخرج!

وضع بلوخ الحجر داخل جيبه فى الحال. على الباب قابلته الحلاقتان ودعاها أن يذهبا معه إلى محل آخر فقالت الحلاقة الثانية إنه لا يوجد هناك أية اسطوانات فى جهاز الموسيقى.

وسألها بلوخ ماذا تريد أن تقول بهذا، فردت بأن الاسطوانات فى جهاز الموسيقى هناك سيئة للغاية. تقدمهما بلوخ ثم تبعته وطلبتا مشروباً وفكتا لفافات الشطائر الورقية. انحنى بلوخ وأخذ فى الحديث، حيث عرضتا له بطاقتيهما الشخصية، وعندما مسك هو الأغلفة، بدأت يذاه تعرقان فى الحال فسألته إذا كان جندياً.

وكانت الثانية منهما على موعد مع أحد الوكلاء وسيخرجون هم الأربعة معاً لأنه عندما يكون هناك اثنان فلا يوجد شىء للحديث وعندما يكون المرء ضمن أربعة يمكنه أن يقول شيئاً لشخص ثم يمكنه أن يحكى نكاتها لشخص آخر، ولم يعرف بلوخ بماذا يجب أن يرد على ذلك.

وفى حجرة جانبية زحف طفل على الأرض وقفز كلب حول الطفل وأخذ يلحق وجهه ورن جرس التليفون فوق البار وطوال رنين التليفون لم يستمع بلوخ إلى الحديث. وقالت الحلاقة إن الجنود ليس لديهم نقود فى معظم الأحيان ولم يرد بلوخ. وعندما أخذ ينظر إلى أيديهما أوضحتا أن أظافرهما قد أصبحت سوداء من أثر مثبت الشعر «ولم يجد أن يطلى فوقها فالخواف تبقى دائماً سوداء» ونظر بلوخ إلى أعلى.

«نحن نشترى الملابس جاهزة» ونقوم بالحلاقة لبعضنا البعض بالتبادل» «فى الصيف يكون الوقت ما زال نهائياً عند عودتنا إلى البيت» «أفضل الرقص الهادى» «أثناء السفر إلى البيت لا نقول الكثير من النكات، فعند ذلك ينسى المرء الكلام» وقالت الحلاقة الأولى، هل تأخذ كل شىء بجدية. بالأمس فى الطريق إلى المحطة أخذت تنظر فى حدائق الفاكهة باحثة عن التلميذ المفقود. كان مع بلوخ بطاقتا إثبات الشخصية وبدلاً من أن يعطيها لهما وضعهما على المائدة، ورأى بلوخ كيف اختفت آثار عرق أصابعه من على الأغلفة السلوفانية. وعندما سألتها من يكون فأجاب أنه حارس مرمى. وأوضح أن حراس المرمى يمكنهم البقاء مدة أطول فى ممارسة اللعبة أكثر من اللاعبين. وقال بلوخ «إن زامورا كان إلى حد ما كبيراً فى السن وكإجابة على ذلك تحدثنا عن لاعبي كرة قدم تعرفانهما. وعندما كانت تقام إحدى المباريات فى منطقتيهما كانوا يرصون أنفسهم خلف مرمى الفريق المعادى ويستهبزون بحارس المرمى حتى يفقد أعصابه. ومعظم حراس المرمى كان لديهم تقوس فى الساقين.

وقد لاحظ بلوخ أنه فى كل مرة ذكر فيها شيئاً ما وتحدث عنه كانت الفتاتان تردان بقصة قد حدثت لهما مع المذكور أوشىء مشابه له، أو قد عرفتها بأية حال عن طريق السمع عن الشىء. يتحدث بلوخ على سبيل المثال عن «كسر فى الضلوع» قد حدث له كحارس مرمى فقالت الفتاتان إنه منذ بضعة أيام فى ورشة النجارة وقع عامل النشارة بسبب لوح خشب وأدى ذلك إلى كسر فى ضلوعه، وقد ذكر بلوخ أن الشفتان قد خيطتا له أكثر من مرة، فتحدثتا هما كنوع من الرد عليه عن إحدى مباريات الملاكمة فى التلفزيون والتي قُطع فيها حاجب الملاكم.

وتحدث بلوخ عن أنه فى إحدى القفزات اصطدم بقائم المرمى وشق لسانه بسبب ذلك فأجابت الاثنان فى الحال أن التلميذ الأبكم لديه لسان مشقوق. وبخلاف ذلك تحدثت الفتاتان عن أشياء - وأهم من ذلك - أشخاص لم يستطع أن يعرفهم وكأنه كان يجب عليه أن يعرفهم ويكون خبيراً بهم.

مارى ضربت أوتو على رأسه بشنطة جلد تمساح. نزل العم إلى البدروم وقد اصطاد ألفرد فى الحوش وضرب الطباخة الإيطالية بأحد عيدان البتولا. وتركها ادوارد تنزلن السيارة عند المنحنى، حتى كان عليها أن تعود للمنزل فى منتصف الليل سيراً على الأقدام، وقد ذهبت من خلال غابة قاتلى الأطفال وبهذا لا يراها فالتر وكارل أثناء سيرها فى طريق الأجانب، وفى النهاية خلعت حذاء الجفل الذى أهدها لها السيد فريدرش.

وأوضح بلوخ فى مقابل ذلك أمام كل اسم عمن يدور الحديث. بل وحتى الأشياء التى ذكرها كان يصفها ليوضحها. فعندما ذكر اسم فيكتور أضاف بلوخ «أحد معارضى» وعندما حكى عن ضربة حرة غير مباشرة لم يكتب بوصف معنى الضربة الحرة فقط بل قام بشرح قواعد الضربة الحرة وذلك أثناء ما كانت الفتاتان فى انتظار إكمال القصة. وحتى عندما تحدث عن ضربة ركنية أقرها الحكم. اعتقد بأنهما مسئولتان مباشرة عن إيضاح أن الأمر لا يتعلق بأحد أركان حجرة. وكلما تحدث لمدة أطول كلما كان إدراكه لما يقوله بالطبع أقل.

وتدريجياً بدا له أن كل كلمة تتطلب شرحاً لها. وكان عليه أن يسيطر على نفسه حتى لا يتلعثم فى وسط الجملة. وعندما كان يفكر مسبقاً فى جملة كان يقولها، وعد نفسه عدة مرات

بأنه يمكنه ألا يرد، عندما يخرج ما تقوله الفتاتان مطابقاً لما فكر فيه أثناء السماع. وطالما أنهما قد استمرت في الحديث سوياً بثقة فقد أخذ هو ينسى الوسط المحيط به أكثر فأكثر. ولم يعد يرى الكلب والطفل في الحجرة المجاورة، وأخذ يبحث في النهاية عن جمل يمكنه أن يقولها. أصبح الجو المحيط به مرة أخرى ملفتاً للانتباه، وفي كل مكان أخذ يرى التفاصيل فقط وأخيراً سأل بلوخ عما إذا كان السيد فريدرش وكيلاً، وإذا ما كان طريق الأجانب قد سمى هكذا لأنه يؤدي إلى أماكن لإقامة الأجانب. وأجابته الاثنتان عن طيب خاطر. وشيئاً فشيئاً أدرك بلوخ بدلاً من الشعر الباهت بجذور داكنة وبدلاً من البروش الوحيد على الرقبة وبدلاً من ظفر أسود وبدلاً من البشرة المنفردة على الحاجب المحلوق وبدلاً من البطانات الموضوعة على كرسى المقهى الفارغ، بدلاً من كل ذلك أدرك مرة ثانية ملامح وأصوات ونداءات وأشكال. الكل في واحد.

وبحركة واحدة هادئة وسريعة أمسك بحقيبة اليد التي وقعت فجأة من فوق المائدة. وقدمت له الحلاقة الأولى قضمة من خبزها وعندما مدته له قضمه بشكل طبيعي جداً.

بالخارج سمع أن التلاميذ قد حصلوا على إجازة من المدرسة وذلك حتى يشاركوا في البحث عن زميلهم. وقد وجدوا فقط بضعة أشياء ليس لها صلة بالمفقود، عدا امرأة جيب مهمشة ويمكن تعريف امرأة الجيب بالغلاف البلاستيكي على أنها ملكية خاصة للطفل الأبهكم. وبالرغم من أنه قد تم البحث بعناية في المنطقة المحيطة، إلا أنه لم يتم التوصل إلى أية وجهة نظر. وقد أضاف الحارس الذي قص ذلك لبلوخ أن أحد الغجر لم يُعرف له مكان إقامة محددة منذ يوم الحادث. وقد تعجب بلوخ من أن الحارس، إضافة إلى ذلك، قد ظل واقفاً على الناحية الأخرى من الشارع وأخذ يتنادى عليه من هناك. وتساءل ثانية هل يمكن الدخول إلى حمام السباحة فأجاب الحارس أن الحمام مغلق ولا يدخل أحد إليه حتى ولو كان من الغجر.

وفي خارج المنطقة لاحظ بلوخ أن حقول الذرة قد دُهمت غالبيتها بالأقدام لدرجة أن زهور القرق العسلى كانت واضحة بين الأغصان المنحنية، وفي وسط حقل الذرة بدأت الأغصان في الازهار دائماً في الظل.

وفى كل مكان فى الشارع كانت أكواز الذرة المنزوعة ملقاة وقد قُشر التلاميذ جزءاً منها وقضموه. وبجانب ذلك كانت هناك آثار سوداء من ألياف أكواز الذرة.

وفى المكان أخذ بلوخ يشاهد كيف أنهم فى أثناء انتظارهم للأوتوبيس أخذوا يقذفون بعضهم البعض بالألياف السوداء المكورة فى أيديهم. كان الاليف رطبة جداً لدرجة أن الماء قد خرج منها عندما خطا بلوخ فوقها، وكان الماء يطرش كما لو أنه يمشى فوق أرض مستنقع. وكاد يتعثر فى ابن عرس مدهوس، خرج لسانه من فمه ممتداً بعض الشيء. وقف بلوخ مكانه ولمس بطرف حذائه اللسان الطويل الرقيق الذى اسود من أثر الدم: لقد كان خشناً وصلباً. أزاح ابن عرس مقدمه إلى المنعطف وأكمل سيره.

على الكوبرى انعطف من الشارع وسار بمحاذاة الجدول المائى متجهاً إلى الحدود. وبالتدريج اتضح أن الجدول المائى أعمق، ومن المؤكد أن الماء كان يجرى دائماً أكثر بطئاً. وكانت شجيرات البندق على جانبيه الجدول ممتدة فوقه لدرجة أنه لم يعد يرى سطح الماء تقريباً. ومن بعيد تطلق صوت منجل أثناء الحش. وكلما كان جرى الماء أبطأ كلما بدا أكثر تعكراً. وأمام أحد المنعطفات توقف الجدول المائى عن التدفق وأصبح الماء غير شفاف تماماً. ومن مسافة بعيدة كان يمكن سماع كركرة أحد الجرارات الزراعية والذى كان وكأنه ليس له علاقة بكل الذى يحدث حوله. كانت هناك سبابة من ثمار البيلسان الشديدة النضج معلقة بين الأدغال. وفوق الماء الساكن كانت هناك بقع زيت صغيرة.

ومن وقت لآخر كان يمكن رؤية الفقاعات المتصاعدة من قاع الماء. وقد كانت نهايات أغصان البندق معلقة داخل الجدول المائى. الآن لا يستطيع أى صوت خارجى أن يشتهه. وما لبثت الفقاعات أن صعدت إلى السطح حتى اختفت مرة أخرى سريعاً وقفز شيء ما من الماء بسرعة حتى لم يكن من السهل تمييز إذا ما كان سمكة أم لا. وعندما بدأ بلوخ فجأة فى التحرك بعد بعض الوقت، حدث صوت دمدمة فى كل الجدول المائى. ومشى فوق الجسر الصغير الذى يمر فوق الجدول وأخذ ينظر فى ثبات إلى الماء بأسفله.

كان الماء هادئاً لدرجة أن أسطح أوراق الشجر التى كانت سابحة فوق الماء ظلت كما هى جافة تماماً. وكان يمكن للمرء أن يرى حشرات بق الماء التى أخذت تجوب الماء هنا وهناك فوقها،

كان يمكن لبلوخ رؤية سرب من الناموس دون أن يرفع رأسه إلى أعلى. وفى إحدى البقاع تموج الماء قليلاً ثم تخبط مرة أخرى عندما قفزت من داخله إحدى السمكات. وعند الحافة رأى ضفدعاً ضخماً جالساً فوق آخر. انحلت إحدى القطع الطينية الكبيرة داخل الماء فأحدث ذلك مرة أخرى صوت دمدمة. إن تلك الأحداث البسيطة فوق الماء تتراعى للمرء هامة جداً لدرجة أنه عند تكرارها مرة أخرى فإنه يراها ويتذكرها فى نفس الوقت الذى تحدث فيه. وقد أخذت أوراق الشجر تتحرك ببطء شديد فوق الماء لدرجة أن المرء يود رؤية ذلك دون أية رجفات للرمش حتى تلتهب العينان وذلك خوفاً من أن يتم الخلط بين حركة رجفات الرمش وحركة أوراق الشجر. وفى الماء المختلط بالطين انعكست فروع الأشجار التى كانت شبه طافية فوق الماء.

وخارج مجال رؤية بلوخ، الذى كان ينظر محملاً للماء من أعلى، بدأ شىء ما فى مضايقته فغمز وكأن عينيه هما السبب فى ذلك، ولكنه لم ينظر للشىء، وبالتدريج دخل هذا الشىء مرمى بصره. وبعد فترة من الوقت رأى دون أن يدرك أن كل وعيه قد أصبح بقعة عمياء. وبعد ذلك كما يحدث فى الأفلام الكوميديّة عندما يفتح شخص ما صندوقاً ويكمل حديثه مثرثراً ثم يتصلب ويرقى فجأة ناحية الصندوق. هكذا نظر بلوخ أسفله إلى جثة الطفل.

عاد ثانية إلى الشارع وفى المنحنى حيث كانت توجد آخر بيوت أمام الحدود عبر أمامه أحد الحراس بدراجة بخارية حيث رآه بالفعل فى مرآة المنحنى ثم ظهر فعلاً فى المنحنى. كان جالساً فوق دراجته البخارية بشكل منتصب بقفازين أبيضين حيث كانت إحدى يديه فوق عمود الدراجة البخارية والأخرى فوق بطنه. وكلا الإطارين كانا متسخين بالطين. وبداخل سلوك الإطار ورفرت إحدى وريقات البنجر. ولم يدل وجه الحارس بشىء. وكلما نظر بلوخ أكثر إلى تلك الهيئة فوق الدراجة البخارية تراءى له كما لو أنه ينظر من أعلى صفحة جريدة ببطء ويطل ينظره من خلال نافذة إلى الخلاء. أخذ الحارس يبتعد أكثر بينما أصبح اهتمام بلوخ أقل تدريجياً. وفى نفس الوقت خطر ببال بلوخ أن ما رآه لمدة قصيرة عندما كان ينظر إلى الحارس يمكن أن يكون مقارنته بشىء آخر. اختفى الحارس تماماً من الصورة وأصبح انتباه بلوخ أكثر سطحية. وفى مطعم الحدود، ذهب هو إليه فيما بعد. لم يقابل أحداً فى البداية بالرغم من أن باب صالة الطعام كان مفتوحاً. وقف لبرهة هناك وفتح الباب مرة ثانية ثم

أغلقه من الداخل بعناية، جلس على مائدة فى الزاوية وانتظر وأخذ يدفع هنا وهناك بالكرات التى تحسب بها اللعابات الفائزة فى لعبة الورق. وأخيراً خلط هو الأوراق التى كانت موضوعة بين صفوف كرات العد. وأخذ يلعب نفسه بالورق. دخل فى حماس اللعب ثم سقطت منه إحدى الورقات أسفل المنضدة، انحنى وأخذ ينظر إلى طفلة المستأجرة وقد جلست القرفصاء أسفل مائدة أخرى قد رُصت الكراسى حولها من كل النواحي. اعتدل بلوخ فى جلسته مرة أخرى وأخذ يكمل لعبه. كان الورق مستهلكاً لدرجة أنه تخيل كل ورقة وكأنها منتفخة بسبب موتها. ونظر إلى حجرة بيت الجيران فوجد خشبة الرقاد خالية.

كان الشباك مفتوحاً على مصراعيه وبالحارج فى الشارع أخذت أطفال تنادى، فأزاحت الطفلة الكراسى تحت المائدة بعيداً عنها وجرت إلى الخارج. أتت النادلة من المدخل إلى الفناء، وكنوع من الإجابة عن رؤيته جالساً هنا قالت إن المستأجرة ذهبت إلى القصر وذلك حتى تجدد عقد الإيجار. كان هناك غلام يتبع النادلة ويمسك فى كل يد صندوقاً مليئاً بزجاجات البيرة. وبالرغم من ذلك لم يستطع الغلام أن يسكت عن الكلام فتحدث إليه بلوخ فقالت النادلة «إنه لا يجب أن يتحدث معه عندما يحمل أحمالاً ثقيلة» وكان الغلام الذى بدا أنه أحمق بعض الشيء قد وضع الصناديق فوق بعضها البعض خلف الباب.

قالت له النادلة «هل ألقىيت الرماد على السرير بدلاً من أن تلقيه فى الجدول المائى؟ ألم تعد تقفز فوق الماعز؟ هل مازلت تكسر قرع العسل لتلطف به وجهك بعد ذلك؟»

وقفت بزجاجة بيرة عند الباب ولكنه لم يرد. وعندما أظهرت له الزجاجة أتى إليها، أعطته الزجاجة وتركته يخرج. ارتقت قطعة بسرعة إلى الخارج. قفزت فى الهواء وراء ذبابة وألتهمتها فى الحال. أغلقت النادلة الباب وبينما كان الباب مفتوحاً سمع بلوخ دوى جرس التليفون فى مبنى التفتيش الجمركى المجاور. ثم ذهب بلوخ بعد ذلك من وراء الغلام متجهاً إلى القصر. وقد مشى ببطء لأنه لم يرد أن يباغته، وقد رأى كيف أشار هو بحركة يديه بشدة إلى أعلى نحو شجرة كمثرى، وسمعه يقول «سرب نحل» ومن النظرة الأولى اعتقد بلوخ أنه يمكن رؤية خلية نحل بالفعل ولكن عندما نظر إلى بقية الأشجار عرف أنه توجد فقط بعض الأجزاء المتضخمة فى جذوع الأشجار وقد شاهد كيف أن الغلام قد رمى بالزجاجة إلى أعلى عندما كان يريد أن يدلل بذلك على أن الأمر يتعلق بخلية نحل.

اندفعت قطرات بقية البيرة إلى أعلى نحو جزع الشجرة وسقطت الزجاجاة فى الحشائش على كومة من الكمثرى المتعفنة وتطاير بعض الذباب والزنابير إلى أعلى، وعندما مشى بلوخ بجانب الغلام استمع إليه يحكى عن مزاج أثناء العوم رآه هو بالأمس أثناء استحمامه، بينما كانت أصابعه منكمشة من أثر الماء، وكانت هناك فقاعة من الرغوة حول فمه. وسال بلوخ إذا ما كان يستطيع العوم، ورأى كيف كان الغلام يعض شفتيه ويومئ ثم سمعه بعد ذلك يقول «لا» وانصرف بلوخ وكان يسمع الغلام وهو يكمل حديثه لكنه لم ينظر وراءه بعد ذلك.

وعند القصر أخذ يدق على شباك بيت الخفير واتجه مقترباً بشدة من زجاج النافذة حتى يستطيع أن يرى ما بالداخل. فوق المنضدة كان هناك إناء ملىء بالبرقوق. استيقظ الخفير على الفور بعدما كان راقداً على الأريكة ثم أعطاه إشارات لم يعرف كيف يجب عليه أن يرد عليها. هز بلوخ رأسه بالإيجاب. أتى الخفير بالمفتاح إلى الخارج. وفتح البوابة واستدار فى الحال للخلف مرة أخرى وسبقه عائداً. حدث بلوخ نفسه قائلاً- خفير بمفتاح!

ومرة أخرى تراءى له كأنه يرى الأشياء بمعناها المجازى. لاحظ هو أن الخفير ينوى أن يقوده إلى داخل المبنى. أراد بلوخ أن يوضح سوء التفاهم، وبالرغم من أن الخفير لا يتحدث إلا قليلاً فلم تتح له أية فرصة لذلك. وعلى باب المدخل الذى دخل منه الاثنان نُبتت بعض رؤوس السمك بمسامير. وقد شرع بلوخ فى شرح ما يريد. ولكن مرة أخرى فاتته اللحظة المواتية. ولكنهما ذهبا إلى الداخل بالفعل. وفى المكتبة أخذ البواب يقرأ لبلوخ من الكتب، كيف أنه منذ زمن بعيد كان على الفلاحين أن ينقلوا أجزاءً من المحاصيل إلى صاحب الضيعة كنسبة من الإيجار.

ولم يخطر ببال بلوخ أن يقاطعه فى هذا الموضع لأن الخفير قد بدأ فى الحال فى ترجمة أحد القليود المسجلة باللاتينية والذي كان يدور حول فلاحٍ عاص. قرأ الخفير «كان يجب على الفلاح أن يقادر الأرض. وبعد هذا بوقت قصير وُجد هذا الرجل فى الغابة وقد عُلقت قدماء فى أحد الجنود وكانت رأسه وسط كمية كبيرة من النمل».

كان كتاب الفوائد سميكاً جداً لدرجة أن الخفير فتحه بكلتا يديه. سأل بلوخ ما إذا كان المبنى مسكوناً، وأجاب الخفير بأن الدخول إلى الغرف الخاصة غير مسموح. سمع بلوخ نقرة ولكن

ذلك لم يكن سوى أن الخفير قد أغلق الكتاب مرة أخرى «الظلام فى غابات الشربين
«ذكر الخفير ذلك من ذاكرته» لقد أطار ذلك أبراج عقله.

وأمام الشباك صدر صوت ما وكأن تفاحة ثقيلة قد سقطت من أحد الأغصان. ولكن بلوخ لم
يسمع صوت سقوط على الأرض. لقد رأى بالخارج ابن صاحب الضيعة وقد ثبت فى نهاية
عصا كيساً بحواف حادة وقد أخذ فى التقاط التفاح بالحافة الحادة داخل الكيس، وفى أسفل
ما بين الحشائش وقفت المستأجرة بين الحشائش مرتدية جونلة فضفاضة.

وفى حجرة جانبية علقت لوحات عليها فراشات. وقد بين الخفير لبلوخ كيف أن يديه قد
اتسختا من أثر التحنيط. وبالرغم من ذلك كانت كثير من الفراشات قد سقطت من فوق
الدبابيس التى تُثبت بها. وقد رأى بلوخ التراب أسفل اللوحات على الأرض. اقترب أكثر
ولاحظ بقايا الفراشات التى كانت مازالت فى الدبابيس. وعندما أغلق الخفير الباب خلفه،
سقط شيء من إحدى اللوحات بعيداً عن مرمى بصره وتبعثر مثيراً للغبار فى سقوطه. ورأى
بلوخ فراشة ليل ملونة، حيث إنها كانت مغطاة بلمعة من الصوف مائلة للاخضرار. لم ينحن
ولم يعد للورا وأخذ يقرأ النقوش الكتابية أسفل الدبابيس. كانت بعض الفراشات قد تغير
شكلها بطريقة واضحة لدرجة أنه لا يمكن التعرف عليها إلا من الوصف الكتابي. «جثة فى
حجرة المعيشة» روى له ذلك، الخفير، الذى وقف على الباب ليتحرك إلى الغرفة التالية.

وبالخارج صرخ شخص ما صرخة خاطفة. ووقعت تفاحة على الأرض. ورأى بلوخ الذى أطل
ينظره من الشباك كيف أن أحد الفروع الخالية من التفاح قد عاد بعد شده للخلف مرة أخرى
سريعاً. ووضعت المستأجرة التفاحة الساقطة على الأرض مع كومة التفاح التالف.

وبعد هذا أتى فصل مدرسى وافد. قطع الخفير إرشاده لبلوخ وأخذ يعيد الكرة مرة أخرى من
البداية. استغل بلوخ الفرصة وذهب بعيداً.

ومرة أخرى فى الشارع جلس على دكة محطة لانتظار أتوبيسات البريد قد تبرع بنك المنطقة
بإنشائها كما أشارت إلى ذلك لوحة تأسيسية من النحاس.

كانت البيوت بعيدة جداً لدرجة أنه أصبح من الصعب التفريق بين بعضها البعض. وعندما
بدأت الأجراس فى الدق لم يعد ممكناً التمييز بينها داخل برج الأجراس. حلت إحدى

الطائرات عاليًا فوقه حيث إنه لم يستطع أن يراها ولكنها ومضت لمرة واحدة فقط. وأسفل الدكة كانت هناك حشائش مبهتة من ندى الليلة الماضية، واكتسى غطاء سلفاني لعلبة سيجائر بالبخار. على يساره رأى... وعلى يمينه كانت هناك... وخلفه رأى... شعر بالجوع فأكمل سيره.

وعندما عاد للمطعم طلب بلوخ قطعة من اللحم البارد. أخذت النادلة تقطع الخبز واللحم على ماكينة تقطيع الخبز وأحضرت له شرائح اللحم. فى أحد الأطباق. ومن أعلى أخذت تضغط على أنبوية لإخراج المسطردة. أكل بلوخ بينما كان الظلام بالفعل قد حل. وبالحارج أختفى طفل أثناء لعب الاستغماية بطريقة جيدة بحيث إن أحدًا من الأطفال لم يستطع أن يعثر عليه ثانية. وعندما توقف اللعب رآه بلوخ يسير فى الشارع الخالى. أبعد الطبق بعيداً عنه. وأزاح غطاء البيرة وذهبت النادلة بالطفلة للنوم. عادت الطفلة بعد ذلك وأخذت تجرى بين الناس هنا وهناك مرتدية قميصاً للنوم. وأخذت حشرات العث فى الطيران من الأرض إلى أعلى. وعند عودتها حملت المستأجرة الطفلة إلى حجرة النوم. كانت الستائر قد شُدت، حيث أصبحت صالة الطعام ممتلئة. وعند البار كان يمكن رؤية بعض الصبية الواقفين والذين كلما ضحكوا تراجعوا للوراء خطوة. وبجانبيهم وقفت بعض الفتيات بسترات رياضية لا تتأثر بالماء وبدا وكأنهن يردن الذهاب فى الحال ثانية. وكان يمكن رؤية كيف كان أحد الصبية يحكى وكيف كان الآخرون مشدودين إليه وذلك قبل أن ينفجروا جميعهم فى الضحك بفترة وجيزة. من جلس، جلس بقدر الإمكان مستنداً على الحائط وروى كيف يلتقط كباش الاسطوانات الخاص بجهاز الموسيقى إحدى الأسطوانات، وروى كيف نزل ذراع الموسيقى بقوة فوق الاسطوانة وسُمع كيف أن البعض انتظر اسطوانته وسكت عن الكلام. لم يعد ذلك بفائدة ولم يتغير شيء. لم يتغير شيء حتى أن المرء قد رأى ساعة يد النادلة تنزلق من معصمها داخل أكمام سترتها عندما تركت هى يدها تتدلى من التعب، حتى أن يد ماكينة القهوة أخذت تصعد لأعلى ببطء، وحتى سُمع صوت خشخشة علبة الكبريت عندما رفعها أحدهم بالقرب من أذنه قبل أن يفتحها. لقد روى لمدة طويلة تكرار وضع الأكواب الفارغة دائماً، وكيف أن النادلة قد رفعت أحد الأكواب الفارغة حتى تتأكد من أنها يمكن أن تأخذها أم لا. وكيف أن الصبية أخذوا يصفعون بعضهم البعض على سبيل الدعابة. لم ينفع أى شيء وعندما صاح شخص ما أنه يريد أن يدفع الحساب أصبح الجو أكثر جدية.

كان بلوخ ثملاً إلى حد كبير. وبدت كل الأشياء وكأنها ليست فى متناول يده. كان بعيداً عن مجرى الأحداث لدرجة أنه هو نفسه لم يدخل فى نطاق ما كان يراه أو يسمعه، وقد فكر أنه أصبح مثل صورة فوتوغرافية التقطت من الجوا حينما كان ينظر إلى القرون المتشعبة على الحائط. وقد بدت له الأصوات وكأنها أصوات جانبية مثل النحنة أو الكحة أثناء إلقاء بعض الخطب الدينية فى الراديو.

وفيماء بعد، دخل ابن صاحب الضيعة وكان يرتدى سروالاً يصل إلى ركبتيه فقط وقد علن معطفه قريباً جداً من بلوخ حتى اضطر بلوخ أن ينحنى إلى جانب.

جلست المستأجرة بجانب ابن صاحب الضيعة وسمع كيف سألته هى أثناء جلوسها عما يود أن يشرب، وكيف نادى النادلة على طلبه. وبعد وقت رأى بلوخ الاثنان يشريان معاً من نفس الكوب، وكلما قال الصبي شيئاً كانت المستأجرة تضربه فى جنبه. وعندما أخذت تتحسس وجهه بكفها المنبسط، أخذ هو يتلطف يدها ويلحسها من أعلى. بعد هذا جلست المستأجرة على مائدة أخرى حيث أخذت تتحسس شعر شاب آخر مكملته بذلك عملها.

وقف ابن صاحب الضيعة خلف بلوخ وأخذ يفتش فى معطفه عن السجائر. وعندما هز بلوخ رأسه بالسلب رداً على سؤال إذا ما كان المعطف يضايقه أم لا، لاحظ أنه لم يعد يرى أى شيء بسبب النظر إلى مكان واحد. ثم قال صائحاً «الحساب».

ومرة أخرى أصبح كل شيء جاداً لفترة قصيرة. كانت المستأجرة التى قد مالت برأسها قليلاً حينما فتحت زجاجة خمر قد أعطت إشارة إلى النادلة التى كانت تقف خلف بوفيه البار وأخذت تفصل الأكواب التى وضعتها فى فرشاة من المطاط المنقوش تفتص الماء من الأكواب. ذهبت النادلة إلى بلوخ عابرة الصبية الواقفين حول بوفيه البار وأعطته بأصابعها التى كانت باردة عن باقى الحساب عملات فضية كانت مبتلة والتى وضعها هو فى الحال فى جيبه عندما وقف. وحدث بلوخ نفسه قائلاً «إنها نكتة» ربما تبدو له الأحداث معقدة، ذلك لأنه ثمل. وقف ثم ذهب ناحية الباب وخرج. بينما كان كل شيء على ما يرام.

وحتى يكون فى مأمن. ظل واقفاً هكذا بعضاً من الوقت. ومن وقت لآخر كان أحدهم يخرج ليقضى حاجته. وأتى آخرون جدد وبدأوا يغنون مع صوت جهاز الموسيقى عندما سمعوه.

عندئذ ابتعد بلوخ.

ثانية فى المكان: ثانية فى المطعم: ثانية فى الحجرة، تسع كلمات بالتمام. فكر بلوخ فى ذلك مستريحاً. استمع بلوخ إلى صوت تصريف ماء الحمام فوقه. وعلى كلٍ فقد سمع بلوخ أبشاً صوت زعزعة وأخيراً صوت لهاث وتشدق.

لم يكن فى استطاعته أن ينام بسهولة. وعندما استيقظ مرة أخرى فكر بلوخ أنه تراءى له فى اللحظة الأولى وكأنه قد سقط خارج نفسه. ثم لاحظ كيف أنه كان راقداً على سريره، وفكر أنه غير قادر على التحرك. إنه إفراط مضر فى كل شيء وأدرك أنه أصبح فجأة فى حالة غير طبيعية. إنه لم يعد يصلح لشيء. رغب فى أن يرقد فى سريره ساكناً. إنه فقط التكلف، إنه فقط الاختناق. هكذا ظل هو راقداً ليكون واضحاً فوق العادة، ليكون متوهجاً، لا تفوته صورة يمكن أن تقارن به. لقد كان مثلما كان هناك كشىء نهم، شىء قذر، شىء غير مناسب، مشير للاستنكار. وفكر فى أن يدفن، أن يحرم، أن يبعد. اعتقد أنه يتحسس نفسه ولكنه لاحظ أن وعيه فقط هو الذى أصبح شديداً بنفسه لدرجة أنه أصبح مثل حاسة اللمس التى تستشعر سطح جلده. وكان الوعى وكأن الأفكار أصبحت ملموسة، شرسة تتعدى عليه هو نفسه.

إنه بلا حول ولا قوة. أصبح راقداً هناك غير قادر على الدفاع عن نفسه. انقلب داخله إلى الخارج بشكل مقزز. ليس غريباً ولكننا فقط شيء كره، مقيت بطريقة مختلفة، وبهزة واحدة أصبح غير طبيعى كأنه نزع من الأمر. كان راقداً هناك بطريقة مستحيلة ولكنها واقعية جداً. لم يعد هناك مقارنة أخرى. أصبح وعيه من داخل نفسه شديداً حتى وصل إلى حالة الخوف من الموت. أخذ يتصبب عرقاً. سقطت عملة معدنية على الأرض وأخذت تدور أسفل السرير. أنصت هو إلى ذلك: إنها مقارنة؟ فنام فى الحال.

مرة أخرى الاستيقاظ، بدأ بلوخ فى العد اثنان، ثلاثة، أربعة. كانت حالته لم تتغير ولكنه اعتاد عليها فى نومه. وضع العملة التى كانت قد سقطت أسفل السرير فى جيبه ثم نزل إلى أسفل وعندما تنبه وتخيل أخذت الكلمة تتوالى نحو الأخرى بطريقة جميلة. يوم مطر من أيام أكتوبر، صباح مبكر، زجاج نوافذ مغبر. الأمور تسير كالمعتاد. حيا صاحب الفندق. وضع

صاحب الفندق الجرائد في الحال داخل قائم الصحف. سحبت الفتاة صينية من الفتحة الموجودة في الحائط ما بين المطبخ وصالة الطعام. وعندما انتبه إلى نفسه أخذت الأمور تكمل سيرها واحدة تلو الأخرى. جلس في داخل الكرسي الذي كان يجلس عليه دائماً وفتحت الجريدة التي كان يفتحها كل يوم وقرأ الأخبار السريعة في الجريدة والتي قالت إنه أمكن اقتفاء أثر أكيد في جريمة قتل «جيردا. ت». حيث إنه اتجه إلى الجزء الجنوبي للبلاد. وقد ساعدت الشخبطات التي وجدت على جريدة في شقة القتيلة في النهوض في التحقيق بالجريمة. أخذت الجملة تقود إلى الأخرى. ثم وثم وثم... استطاع أن يريح نفسه بعض الوقت.

وبعد بعض الوقت، أخذ بلوخ يقول في جملة قد صارت تتردد في وعيه «إنه أصبح لفترة طويلة غير مشغول بشيء». بالرغم من أنه جالس بالفعل في صالة الطعام وأخذ يسرد ما يجري أمامه بالخارج في الشارع.

ولأن الجملة بدت لبلوخ كجملة ختامية، عاود التفكير في الكيفية التي خطرت له بها هذه الجملة، وماذا كان قبلها؟ نعم ماذا قبل ذلك.

الذي خطر بباله الآن هو كما حدثته نفسه. إنه فوجيء بإحدى ضربات كرة القدم وجعلها تمر بين ساقيه. وقبل هذه الجملة فكر في المصورين الصحفيين الذين جعلوه مضطرباً خلف المرمى. وقبل ذلك وقف أحد الأشخاص خلفه وأخذ يصفر فقط إلى كلبه. وماذا قبل هذه الجملة، وفكر في إحدى السيدات التي ظلت واقفة وراءه والتفتت خلفها ناظرة إليه وكأنها تنظر إلى أحد الأطفال الأشقياء. وقبل هذا؟

قبل هذا حكى صاحب المطعم عن التلميذ الأيكم الذي عُثر عليه ميتاً بواسطة بعض موظفي التفتيش الجمركي قبل الحدود.

وقبل التلميذ فكر في الكرة التي قفزت من فوق الحائط. وقبل التفكير في الكرة كان قد رأى إحدى سيدات السوق تقفز من فوق كرسيتها الخالي من المساند لتجري وراء أحد التلاميذ. وقبل سيدة السوق كانت قد سبقت جملة أخرى في الجريدة وهي أن «كبير التجارين قد تعرقل أثناء مطاردته أحد اللصوص وكان مرتدياً مربلة العمل» وقد قرأ هذه الجملة في الجريدة في الوقت الذي أخذ يفكر فيه كيف أنه في مشاجرة قد شُد معطفه من الخلف ناحية الذراع. لقد

دخل فى المشاجرة عندما اصطدمت قصبه رجله بشكل مؤلم بالمائدة. وقبل ذلك لم يخطر بباله شئ، فما الذى جعله يصل إلى هنا. وأخذ يبحث فى الأحداث عن حجة وسبب لهذا. ماذا يمكن أن يكون سبباً لذلك. هل لذلك ارتباط بالحركة؟ أم بالألم؟ أم بصوت الاصطدام بالمنضدة وقصبه رجله. ولكن الأمور لم تعد به للوراء أكثر من ذلك.

وبعد هذا نظر إلى إحدى الصور أمامه فى الجريدة، حيث ظهر باب شقة كان ولابد من أن يُفتح من ذلك بسبب أنه كانت هناك جثة راقدة خلف الباب. إذن بكلمة باب الشقة بدأ الأمر حتى وجد نفسه عائداً إلى الجملة «أنه قد أصبح منذ فترة طويلة غير مشغول بشئ».

وبعد مدة من الوقت أخذت الأمور تسير بشكل أفضل فقد توافقت حركات شفاة الناس التى كان يتحدث معها مع ما كان يسمعه. لم تتكون البيوت فقط من الواجهات: وقد تم حمل أجولة الدقيق من رصيف الشحن الخاص بأحد معامل الألبان إلى داخل المخازن. وعندما أخذ شخص ينادى من الشارع بأسفل سمع صوته وكأنه أت بالفعل من أسفل. وبدا الناس الذين مروا على الرصيف الموازى فى الخلفية وكأنهم لم يحصلوا على أجورهم بعد التصوير، والصبى ذو الشريط الطبى اللاصق تحت عينه لديه قشرة حقيقية من الدم. ولم يد أن المطر يهبط فقط فى مقدمة المنظر بل فى كل مرمى البصر. ووجد بلوخ نفسه بعد ذلك تحت مظلة كنيسة. لابد أنه قد وصل إلى هناك عبر أزقة جانبية ووقف تحت المظلة، عندما بدأت الأمطار فى السقوط.

ولفت نظره أنه بداخل الكنيسة كان المكان أكثر إضاءة عما كان يظن. وبعد أن جلس فى الحال على دكة، استطاع أن ينظر إلى الرسوم الموجودة فى السقف. وبعد حين استطاع أن يتعرف عليها مرة أخرى. حيث كانت مصورة فى النشرات السياحية الخاصة بالمكان والتى كانت متناثرة فى كل حجرات الفندق. وبلوخ الذى كان قد وضع فى جيبه إحدى الأوراق لأن بها رسماً كروكياً للقرية والمنطقة المحيطة بها من شوارع وطرق، سحب النشرة السياحية وقرأ أن العديد من الرسامين قد عملوا فى تلوين خلفية وواجهة الرسوم.

وفى واجهة الرسوم كانت الأشخاص الموجودة قد تم عملها منذ فترة طويلة حيث إن الرسام الآخر كان مازال يعمل فى رسم الخلفية. ونظر بلوخ من الواجهة إلى أعلى نحو القبو. وحيث

إنه لم يتعرف على الأشخاص المرسومة فقد مل. كل الأمر يتعلق بأشخاص من تاريخ الكتاب المقدس. وبالرغم من هذا كان مستساعاً له أن ينظر نحو القبو إلى أعلى، بينما اشتد سقوط المطر في الخارج أكثر. وقد امتد الرسم بطول سقف الكنيسة. وقد عرضت الخلفية لون السماء الذي يأخذ نفس اللون اللبني على وجه التقريب والذي كان خالياً من السحب إلى حد ما. ومن هنا وهناك كان يرى بعض السحب البيضاء الصغيرة، وفي مكان ما بعيداً بعض الشيء عن الأشخاص رُسم أحد الطيور وقد خمن بلوخ كم كان عدد الأمتار المربعة التي كان على الرسام أن ينقشها، وهل كان من الصعب دهان نفس الدرجة من الأزرق؟ لقد تعلق الموضوع بلون أزرق ناصع، حيث كان على المرء خلطه باللون الأبيض، وعند خلطه كان يجب مراعاة أن درجة اللون الأزرق لا تتغير من يوم لآخر؟ ومن ناحية أخرى فقد كان اللون غير متشابه من مكان إلى آخر بل تبدل داخل دهان الفرشاة وبهذا لم يكن من السهل على المرء أن يدهن السقف بلون أزرق ذو درجة واحدة ولكن يجب رسم الصورة بشكل صحيح؟ فالخلفية لم تصبح على شكل سماء من خلال هذا، لأن المحارة التي كانت ما تزال مبتلة قد دُهنت بطريقة عمياء.

بأكبر فرشاة ممكنة بل ربما بإحدى المقشات. بل وقد فكر بلوخ في أن الرسام كان عليه رسم السماء مع بعض التغييرات في اللون الأزرق والتي لا يفترض أن تكون واضحة تماماً، لدرجة أنه يمكن اعتبارها خطأ عند الخلط. وليس بسبب أن المرء قد اعتاد أن يفكر في أن السماء في الخلفية بدت الخلفية كسماء وكان ذلك لأن السماء قد دُهنت خطأ بخط.

وحدث بلوخ نفسه قائلاً لقد دُهنت بدقة حتى بدت للمرء وكأنها تقريباً مصورة. كانت على أية حال أكثر دقة من الأشخاص في الواجهة. هل رسم الرسام الطائر يغضب؟ وهل رسم الطائر أولاً أم السماء عندما انتهى من عمله؟ وهل كان رسام الخلفية متشككاً. لم يكن هناك شيء يشير إلى ذلك، وبدا هذا التفسير لبلوخ مضحكاً. وبدا لبلوخ كما لو أن انشغاله بالرسم وذهابه وإيابه وخروجه ودخوله ليسوا أكثر من حجيح.

لقد وقف. قال لنفسه: «ليس هناك تحول عن الهدف» وكما لو كان يناقض نفسه، خرج واتجه في الحال عبر الشارع إلى عتبة منزل، ووقف، هناك متحدياً بجانب زجاجات اللبن الفارغة، دون "أن يأتي أحد ويتحدث إليه، ثم دخل مقهى وجلس لبعض الوقت ممداً ساقيه دون أن يتكلم أحد ويتعثر فيهما ويسمح بحدوث شجار.

وعندما نظر إلى الخارج رأى قطاعاً من ميدان السوق فيه أوتوبيس مدرسة، فى المقهى رأى يميناً ويساراً قطاعات من الجدران، بقرن غير ساخن، فوقه باقة زهور، بشماعة ملابس، فى الناحية الأخرى علقت مظلة. لقد لمح قطاعاً آخر بجهاز موسيقى يدور بواسطة نقطة ضوئية تقف عند الرقم المختار، وبجانبه ماكينة السجائر الأوتوماتيكية وفوقها مرة ثانية باقة زهور، ثم بعد ذلك ثانية قطاع آخر به صاحب المقهى خلف البار يفتح، للنادلة التى تقف بجانبه، زجاجة، وضعتها النادلة على صينية، وأخيراً قطاع لنفسه وكيف كانت ساقاه ممدتان بمقدمة حذاءه المبللة القذرة وأمامه منفضة السجائر الضخمة على المائدة وبجانبه فارة زهور صغيرة وكأس النبيذ الممتلىء على المائدة الجانبية، حيث لم يجلس عندها أحد فى تلك اللحظة.

وطابقت زاوية النظر إلى الميدان كما لاحظ هو الآن، بعد مرور الأوتوبيس، تقريباً نفس زاوية النظر إلى بطاقات الآراء: هنا قطاع العامود عند بشر الزينة، هناك عند حافة الصورة هناك قطاع لقائم دراجة.

كان بلوخ متحفزاً. بداخل القطاعات رأى المفردات متطفلة واضحة: وكأن الأجزاء التى يراها تقوم مقام الكل. وثانية بدت له المفردات مثل لافتات أسماء. حدث نفسه قائلاً «كتابات مضيفة» وهكذا رأى أذن النادلة بالقرط الوحيد كعلامة للشخص كله، وحقيبة يد على المائدة الجانبية، كانت قد فُتحت قليلاً حتى استطاع أن يرى إشارياً منقطعاً، كان يقوم مقام السيدة التى كانت بالخلف تمسك بفنجان قهوة فى يد وباليد الأخرى كانت تتصفح بين وقت وآخر بجانب صورة مجلة مصورة، بسرعة واندفاع. وعمل برج من كاسات الآيس كريم الموضوعة فوق بعضها البعض كشئ مقارن بصاحب المقهى. ومثلت بقعة الماء على الأرضية تحت الشماعة المظلة التى فوقها. بدلاً من رؤية رؤوس الزبائن، رأى بلوخ مواضع متسخة على الحائط فوق الرؤوس، لقد كان متحفزاً جداً لدرجة أنه رأى الرباط المتسخ الذى سحبه النادلة لتطفيء إضاءات الحائط - لقد أصبح الجو بالخارج أكثر وضوحاً - كما لو أن إضاءات الحائط كلها توجه إليه، بخاصة، إهانة. أيضاً أصابه صدام لأنه أتى أثناء المطر.

ويدا أن المفردات المتطفلة تلوث الأشخاص والمنطقة المحيطة التى تتبعها وتشوهها. ويمكن للمرء أن يحى نفسه فقط عندما يصفها مفردة، يستخدم الوصف كشتائم موجهة إلى الأشخاص أنفسهم. فيستطيع أن يدعو صاحب المقهى خلف البار بأنه كوب آيس كريم أو

يقول إن النادلة عبارة عن ثقب فى شحمة الأذن، وكذلك يحلو للمرء أن يقول للمرأة التى معها المجلة المصورة: إنها حقيرة يد ! وللرجل على المائدة الجانبية والذى جاء من الحجرة الخلفية وشرب النبيذ واقفاً بينما كان يدفع الحساب: أنت يا بقعة على البنطلون أو يقول له عندما وضع الآن الزجاجاة الفارغة على المائدة وخرج إنه بصمة أصبع، مقبض باب، فتق معطف، نفرة مطر، أو مشبك سروال لقيادة الدراجة، رفرف سيارة إلخ.. حتى اختفى الشخص فى الخارج بدراجته من الصورة... بل وحتى الحديث والأهم من ذلك تعجب الناس الهكذا؟ والكذلك! بدت متطفلة جداً بحيث إن المرء يريد أن ينطقها بصوت عالٍ على سبيل السخرية.

وذهب بلوخ إلى مجزر للحوم واشترى شطيرتى سجق. ولم يرد أن يأكل فى المطعم لأن نقوده أصبحت قليلة. ونظر إلى أطراف السجق المعلقة إلى جانب بعضها البعض على عصا وتبين من أى سجق كان على البائعة أن تقطع. وجاء طفل بورقة فى يده. وقالت البائعة فى الحال إن موظف الجمارك رأى جثة التلميذ أول الأمر على أنها مرتبة عائمة، ثم أخذت رغيفين من الخبز الصغير من إحدى الكاروتونات وشرطتهما ولكن ليس تماماً. كان الخبز قديماً جداً حتى أن بلوخ سمع صوت السكين وهى يشطره. وفصلت البائعة الأغرفة عن بعضها البعض ووضعت قطع السجق بينها. وقال بلوخ إن لديه وقتاً ويمكنها أن تعطى للطفل طلبه قبله. ورأى كيف أمسك الطفل بالورقة فى يده صامتاً. انحنى البائعة وقرأت. وعندما قامت بتقطيع قطعة اللحم سقطت القطعة على الأرض الحجرية وقال الطفل «ورطة».

وظلت القطعة ملقاة فى موضعها. رفعتها البائعة وكحتتها بنصل السكين ولفتها. وبالحارج رأى بلوخ أطفال المدرسة يسرون بمظلات مفتوحة رغم أنها لم تكن قطر بعد. ففتح للطفل الباب وتأمل كيف تنزع البائعة جلد الأمعاء من أطراف السجق ثم تضع قطع السجق فى الرغيف الثانى.

قالت البائعة إن حال العمل يسوء «فالببوت كلها على جانب الشارع الذى به المحل أيضاً، بحيث إنه أولاً لا يسكن أناس فى الجهة المقابلة ويستطيعون أن يروا من هناك أن هناك محلاً، وثانياً أن الناس الذين يمررون لا يسرون أبداً على الجهة الأخرى، ولذلك يمررون بكثافة قريباً جداً من المحل ويعبرون بنظرهم متخطين أن هناك محلاً وكذلك أيضاً فإن نافذة العرض ليست أكبر من نوافذ حجرات المعيشة فى البيوت المجاورة.

وتعجب بلوخ من أن الناس لا يمشون على الجانب الآخر من الشارع الذى يوجد فيه فعلاً أرض فضاء وأكثر من ذلك تأتبه الشمس. ربما توجد حاجة إلى السير بجانب المنازل، قال هو ذلك وضحكت الفتاة التى لم تستطع أن تفهمه لأنه ضاق بالكلام فى منتصف الجملة وأصبح فقط قادراً على المهمة وكأنها بعيداً عن ذلك قد توقعت نكتة، كإجابة. وبالفعل أصبح المحل معتمداً جداً حين مر الآن بعض الناس حتى أن ذلك يتراءى للمرء بالفعل على أنه نكتة.

أولاً... ثانياً... ردد بلوخ لنفسه ما قد قالته البائعة، ولم يبد له مريباً أن يبدأ المرء فى الحديث، وأثناء ذلك يعرف ما سيقوله فى نهاية الجملة.

أكل شطائر السجق فى الخارج أثناء المشى وكور الورقة التى لفت هى فيها الشطائر لإلقاءها ولم تكن هناك سلة أوراق بالقرب، ومشى لفترة بالورقة المكورة مرة فى يد ومرة أخرى فى الاتجاه الآخر ثم وضع الورقة فى جيب الجاكت، وأخرجها مرة ثانية ورماها أخيراً عبر سور حديقة فواكه. وجرى إليها الدجاج فى الحال من كل النواحي لكنه تحول عنها بعد ذلك ثانية قبل أن ينقروا.

وأمامه رأى بلوخ ثلاثة رجال يسبرون بميل عبر الشارع. اثنان يرتديان زيّاً وفى وسطهما واحد يرتدى بدلة عيد سوداء برباطة عنق طارت منه إلى الوراء وتعلقت بكتفه إما بسبب الريح أو الحركة السريعة.

وشاهد كيف اقتاد الحارسان الفجرى إلى مبنى الحراسة.

لقد ساروا إلى جانب بعضهم البعض حتى الباب وكما يبدو فإن الفجرى كان يتحرك دون قيد بين الحارسين وكان يتحدث معهما. ولكن عندما دفع أحد الحارسين الباب، تحسس الآخر كوع الفجرى بخفة دون أن يسكه. نظر الفجرى من فوق كتفه إلى الحارس وابتسم بمودة.

كانت ياقة القميص تحت زر رابطة العنق مفتوحة وتراءى لبوخ كما لو أن الفجرى فى وضع ، أنه عندما يُمس ذراعه فليس لديه سوى أن ينظر إلى الحارس دون حيلة بمودة. تبعهم بلوخ داخل المبنى الذى فيه أيضاً مكتب البريد: وظن للحظة أنه عندما يراه المرء يأكل شطيرة سجق فى الأماكن العامة فلن يصل أحد إلى فكرة أنه متورط فى شيء ما. متورط؟ ليس عليه أن يفكر مطلقاً فى أن وجوده هنا أثناء اقتياد الفجرى يجب تبريره مسبقاً من خلال أى

ارتباطات مثل شطيرة سجق. يستطيع تبرئة نفسه فقط عندما يكون فى موضع للكلام وعليه ألا يفكر مقدماً فى تدبير أية مبررات لهذه الحالة.

لا توجد هذه الحالة أبداً عندما يُسأل إن كان قد نظر إلى الكيفية التى اقتيد بها الفجرى، وهكذا فلم تكن لديه الحاجة لأن ينكر ويقول إنه كان مشغولاً بأكل شطيرة سجق ولكن يستطيع أن يعترف بأنه كان شاهداً لاقتياد الفجرى.

شاهداً؟

قاطع بلوخ نفسه أثناء انتظاره للخط فى مكتب البريد «يعترف» ما علاقة هذه الكلمات بالحدث الذى لا معنى له بالنسبة إليه؟ ألم تعطه تلك الكلمات معنى، يريد هو الآن أن ينكره؟ «ينكر»؟ قاطع بلوخ نفسه ثانية. ليس هناك شيء يُنكر يجب أن يكون حذراً فى كلماته التى يعبر بها عما يريد والتى تصنع نوعاً من الشهادة.

ودعى إلى كابينة التليفون وكان مازال غارقاً فى فكرة تجنب الإحساس بأنه يريد أن يدلى باعتراف، ثم وجد نفسه عند ذلك يلف سماعة التليفون بمندبل جيب، ويقليل من الارتباك وضع المندبل على السماعة. كيف توصل إلى فكرة وجود الكلام غير المحذر على المندبل؟ واستمع. الصديق الذى كان يريد محادثته كان محجوراً فى معسكر تدريب مع فريقه قبل المباراة الهامة يوم الأحد. ولم يكن ممكناً الاتصال به تليفونياً. وأعطى بلوخ موظفة البريد رقماً آخر وطلبت منه دفع ثمن المكالمات.

دفع بلوخ ثم جلس على دكة حيث انتظر المكالمات الثانية، ثم رن جرس التليفون ووقف بلوخ، لكنه كان تلغراف تهنته قد وصل وكتبته الموظفة وراجعته كلمة بكلمة ومشى بلوخ ذهاباً وإياباً.

عاد أحد سعاة البريد وأخذ يعد بصوت عالٍ أمام موظفة البريد وجلس بلوخ. وبالحارج فى الشارع لم يوجد فى أول ما بعد الظهر ما يُعيد تفكيره. ولم يعد بلوخ صابراً ولكنه لم يظهر ذلك واستمع إلى ساعى البريد وهو يحكى. أن الفجرى كان مختبئاً طوال اليوم فى الكشك السفلى للحرس الجمركى على الحدود؛ وأدلى بلوخ برأيه قائلاً «أى شخص يمكنه قول ذلك» التفت ساعى البريد إليه وصمت وكل ما كان يدلى به كشىء جديد كان بلوخ يكمل قائلاً بأن

المرء يمكنه قراءة ذلك بالفعل فى صحف الأمس وقبل الأمس وقبل قبل الأمس، كل ما يقوله لا يبنى، بشئ، على الإطلاق.

وأعطى ساعى البريد ظهره لبلوخ، بينما كان بلوخ يتكلم. وتحدث الساعى مع موظفة البريد فى همهمة وسمع بلوخ ذلك مثلما فى الأجزاء التى فى الأفلام الأجنبية التى لا تترجم لأنها يجب أن تبقى غير مفهومة بدون ذلك.

ولم يصل بلوخ لشئ، من ملاحظته، وبدت له فجأة حقيقة أن هذا مكتب بريد حيث لا يصل المرء فيه لشئ، ليس كحقيقة ولكن كنكتة سيئة مثل تلك الألاعيب الكلامية التى كانت لا تعجبه دائماً من قبل المحررين الرياضيين. وبدت له حكاية ساعى البريد عن الفجرى حكاية ضخمة ذات معينين أو تلميحاً غير مقصود وكذا تلفراف التهئة الذى كانت فيه الكلمات سريعة جداً حتى أنها كانت غير قادرة على أن تعنى هذا.

وليس ما كان يقال هو فقط ما كان يحوى تلميحاً ولكن الأشياء المحيطة لابد أنها كانت تعنى شيئاً بالنسبة له. وحدث بلوخ نفسه قائلاً «كما لو أنها تلوح لى وتعطينى إشارة، لأنه ماذا يعنى أن غطاء زجاجة الحبر قد وُضع على الورق النشاف وأن هذا الورق النشاف، من الواضح أنه وضع اليوم جديداً على المكتب حتى أنه لم يوجد سوى عدد قليل من الكلمات المطبوعة عليه يمكن قراءتها. وهل يكون من غير اللازم أن يقول المرء بدلاً من «حتى أن»، «بذلك» كتعبير أصح؟ بذلك كانت الكتابة مقروءة؟ والآن وضعت موظفة البريد السماعة وتهجت تلفراف التهئة. أية إشارات كانت تقوم بها عند ذلك؟، ماذا يختبئ خلف ذلك عندما تلى «كل عام وأنتم طيبون» و«مع تحياتى القلبية»: ماذا يعنى هذا؟ لأى شئ توجد هذه الصيغ التقليدية، لمن كان هذا الأسم المستعار «جدى وجدتى العظيمان»؟ واعتبر بلوخ الإعلان الذى قرأه صباحاً فى الجريدة مثلاً لهذه الحالة.

وبدا له كما لو أن ساعى البريد والموظفة كانا فى صورة. «الموظفة وساعى البريد» قال لنفسه مصححاً.

الآن أصابه فى وضع النهار مرض لعبة الكلام الكريه «فى وضع النهار». لابد أنه تحلل فى هذه الكلمة بأى طريقة من الطرق. وبدا له التعبير مضحكاً بطريقة غير مناسبة. وهل كانت

الكلمات الأخرى فى الجملة غير مناسبة؟ عندما قيلت كلمة «المرض» استطاع المرء أن يضحك عليها فعلاً بعد إعادتها عدة مرات. أصابنى مرض، «ذلك مضحك»، «سأصبح مريضاً»؛ شئ مضحك جداً أيضاً «ساعى البريد وموظفة البريد؟ موظفة البريد وساعى البريد تلك نكتة حقاً. هل تعرف النكتة عن ساعى البريد والموظفة؟ وفكر بلوخ «كل ذلك يبدو كعنوان رئيسى»: «تلغراف التهنتة» و«غطاء زجاجة الخبز»، و«بقايا الورق النشاف على الأرضية». ورأى بلوخ الحوامل التى علقت عليها الأختام وكأنها مرسومة وتأملها طويلاً ولكنه لم يصل إلى ما هو مضحك فيها. من ناحية أخرى فلا بد أن فيها نكتة: وإلا لماذا بدت له مرسومة؟ وهل كانت هذه حالة ثانية؟ وهل يرجع هذا الشئ إلى أنه وعد نفسه بذلك؟

نظر بلوخ إلى مكان آخر ونظر ثانية إلى مكان ثان ونظر مرة ثالثة إلى مكان آخر هل تقول الختامات لسيادتك أى شئ؟ ماذا تعتقد عندما ترى هذه الفاتورة الملونة؟ وبم تربط حركة سحب الدرج؟ وبدا لبارخ وكان عليه أن يجرد الحجرة بحيث إن الأشياء التى يتوقف عندها أو يتركها أثناء العد يمكن أن تؤخذ كأدلة.

ضرب ساعى البريد باليد الحافظة على الحقيبة الكبيرة التى كان ما يزال معلقاً إياها «ضرب ساعى البريد على الحقيبة ثم أنزلها من على كتفه» وفكر بلوخ كلمة بكلمة «الآن وضعها على المائدة، وذهب إلى غرفة الطرود» وأخذ بلوخ يصف الأحداث لنفسه، كما لو أنه يستطيع تخيلها أولاً مثل مذيع راديو للجمهور. وأعانه ذلك بعد بعض الوقت. وظل واقفاً لأن التليفون قد دق، وكل مرة يعتقد أنه قد عرف قبل ذلك بلحظة. رفعت الموظفة السماعة وأشارت إلى الكابينة، وفى داخل الكبينة سأل بلوخ نفسه إذا ما كان قد أساء فهم حركة اليد، وإذا ما كانت لا تشير لأحد. وأخذ السماعة وطلب من زوجته السابقة التى كانت وكأنها تعرف أنه هو فذكرت اسمها الأول، أن ترسل له نقوداً بالبريد. وتلا ذلك صمت من نوع خاص. وسمع بلوخ همساً لم يكن له بالتأكيد، وسألت الزوجة أين أنت وقال بلوخ إن قدميه تجمدتا وأنه مفلس ثم ضحك كما لو كان ذلك شيئاً مضحكاً جداً. ولم ترد المرأة. واستمع بلوخ للهمس ثانية وقالت المرأة «إن ذلك صعب جداً» وسأل بلوخ «لماذا» وقالت إنها لم تكن تخاطبه «إلى أين أرسل النقود» وقال إنه عليه أن يقلب جيب بنطلونه إلى الخارج عندما لا تقدم له العون. وصمتت المرأة ووضعت السماعة على الناحية الأخرى.

وفكر بلوخ دون تخمين أننا خرجوه من الكابينة «جلد من العام الماضى» ماذا كان يعنى هذا؟ الحقيقة أنه سمع أنه يوجد على الحدود كم كبير من بقايا أخشاب تالفة، ويستطيع المرء أن يجد فيها بقعاً من أثر الجليد. لكنه لم يقصد ذلك، وغير ذلك فإنه ليس ثمة شىء يبحث عنه فى بقايا الأخشاب.

«لاشىء يبحث عنه» ماذا كان يقصد وحدث نفسه: «كيف أقولها»، بذل فى البنك عملة من فئة الدولار الواحد كان يحملها منذ فترة طويلة. وحاول أيضاً أن يغير عملة برازيلية ولكن هذه العملة لم تكن متداولة فى البنك، إلى جانب أن سعر صرفها غير موجود. عندما دخل بلوخ كان الموظف يعد عملات معدنية ويضمها فى صفوف ويلفها بأستك ووضع بلوخ العملة الورقية على الحاجز. بجانبه كانت هناك علية موسيقية. وأول ما نظر بلوخ عرف أن الأمر يتعلق بصندوق ادخار لعملات خبرى.

ونظر الموظف إلى بلوخ لكنه استمر فى العد، وأزاح بلوخ العملة الورقية إلى الناحية الأخرى دون أن يطلب منه شيئاً. وكوم الموظف العملات فى صفوف بجانبه. ثم انحنى بلوخ ونفخ فى العملة الورقية على طاولة الموظف. وفرد الموظف العملة ومسحها بطرف اليد وتحسسها بأنامله. ورأى بلوخ أن أنامله قد أصبحت سوداء إلى حد ما. ومن الغرفة الخلفية أتى موظف آخر، وفكر بلوخ أنه أتى لكى يشهد على شىء ما. وطلب بلوخ أن توضع العملات المعدنية المحولة- لم تكن بينها عملة ورقية واحدة- فى كيس ورقي. وأزاح العملات تحت النافذة مرة ثانية. ووضع الموظف العملات فى الكيس الورقي بطريقة لا تختلج عن التى كوم بها الصنف من قبل، وقدمها لبلوخ ثانية. وتخيل بلوخ لو أن كل الناس طلبت أن توضع عملاتها فى كيس ورقي فإن البنك سيدمر بمرور الوقت. مع هذا يستطيع المرء أن يفعل هذا فى كل عمليات التسوق. ربما رغم استهلاك خامات التغليف بكثرة المحال إلى الإفلاس. وعلى كل فقد كان سعيداً بتخيل ذلك. واشترى بلوخ من إحدى المكتبات خريطة للمكان ولفها جيداً، واشترى قلم رصاص لذلك. ووضعه فى كيس ورقي. بهذه اللقافة فى يده أكمل سيره. وبدا لنفسه الآن أقل خطراً عن ذى قبل حيث كانت يده فارغتين. وقد جلس خارج المكان على أحد الدك حيث استطاع أن يرى المكان من أعلى، وقارن بين المفردات على الخريطة ومقابلها على الطبيعة أمامه.

توضيح العلامات: هذه الدائرة تعنى غابة نفضية، هذه الأركان الثلاثة تعنى غابة شوكية وعندما ينظر المرء إلى الخريطة يفاجأ بأنها تقابل ذلك على الطبيعة. لا بد أن الأراضى بأعلى موحلة: بأعلى لا بد أن هناك تمثلاً لقديس: ولا بد أنه يوجد هناك قنطرة سكة حديد. وعندما يسلك المرء هذا الطريق فعليه أن يسير فوق الكوبرى، وبعد ذلك يصل إلى طريق البضائع، بعد ذلك عليه أن يصعد مونتفاً وعرّاً إلى حيث يستطيع المرء بالفعل أن يقف. وعليه أن ينحرف من هذا الطريق عبر ذاك الحقل سيراً ثم عليه أن يجرى إلى هذه الغابة، لحسن الحظ أنها غابة شوكية، حيث يمكن للمرء أن يقابل بعض المارة، حتى أن على المرء أن يغير اتجاهه وأن يجرى ناحية المنحدر إلى تلك المزرعة بأسفل، وعليه أن يمر بمخزن الأخشاب هذا، ثم يمضى بطول الجدول، ولا بد أن يتخطى هذا المكان لأن عربة جيب يمكن أن تأتى إلى هنا وأن تجرى بعد ذلك فى خط متعرج عبر الأراضى الزراعية وتدف من هذه الأشجار الحية التى تصنع سوراً إلى الشارع، حيث تقابلها شاحنة يوقفها المرء حينما يكون فى أمان «عندما يتعلق الأمر بجريمة قتل، يقفز المرء بأفكاره بعيداً».

لقد سمع أحدهم يقول ذلك فى أحد الأفلام وشعر بارتياح عندما وجد علامة أربعة أركان على الخريطة ولم يجد لها مثيلاً فى الطبيعة: البيت الذى من المفروض أن يكون هناك لم يكن موجوداً والشارع الذى ينحنى فى هذا الموضع يمتد فى الواقع إلى الأمام. وبدا لبلوخ كما لو أن عدم التواء هذا يمكن أن يعينه.

وراقب كلباً بأحد الحقول كان يجرى وراء رجل، ثم لاحظ أنه لم يعد يراقب الكلب بل الرجل الذى يتحرك مثل شخص يريد أن يتخطى شخصاً آخر على الطريق. الآن رأى خلف الرجل طفلاً واقفاً: ولاحظ أنه لا يراقب الرجل والكلب كما كان معتاداً ولكنه كان يراقب الطفل الذى بدا من بعيد مشاكساً ولكنه لاحظ بعد ذلك أن تلك هى صرخة الطفل وهو ما بدا له مشاكسةً من قبل. أثناء ذلك ربط الرجل الكلب بطوق الرقبة ومضى ثلاثتهم الكلب والرجل والطفل فى اتجاه واحد. وفكر بلوخ «لمن يصلح هذا».

وأمامه على الأرض كانت هناك صورة أخرى: نمل يتغذى على فتات الخبز. ولاحظ ثانية أنه لا يراقب النمل ولكن على العكس كان يراقب الذبابة القابعة على بقايا الخبز. وحرفياً كان كل ما رآه ملحوظاً. الصور بدت له على أنها ليست طبيعية ولكنها نسخ زائدة من أجل شخص

ما، تخدم غرضاً ما، عندما يتأملها المرء تقفز حرفياً إلى العين. وفكر بلوخ «مثل علامة نداء». مثل الأوامر. وعندما أغلق عينيه ونظر ثانية لبعض الوقت بدا له حرفياً أن كل شيء قد تغير، وبدت له الأجزاء التي يراها المرء على الأطراف تومض وترتعث. وغادر بلوخ مكانه دون أن يقف بشكل صحيح. وبعد فترة من الزمن ظل واقفاً، ثم غير من وضع الوقوف إلى الجري بعد ذلك. لقد بدأ مسرعاً ثم توقف فجأة، ثم غير اتجاهه وجرى بانتظام، ثم غير خطواته ثانية ثم جرى الآن إلى الوراء ثم دار بنفسه ثانية أثناء جريه للخلف ثم مشى إلى الخلف ثم التفت ثانية جرياً إلى الأمام وبدل بضعة خطوات أثناء الجري السريع الكامل، ثم توقف بحدة، وجلس على حافة صخرية وجرى فوراً من مكان جلوسه.

وعندما ظل واقفاً ثم استكمل سيره ثانية، بدت له صور الحواف شائبة. وأخيراً كانت في دائرة سوداء في المنتصف. وفكر بلوخ «وكان المرء ينظر من خلال تلسكوب» ومسح عرق ركبتيه بالبنطلون. ومر بيدروم كانت وريقات الشاي فيه تعطى ضوءاً خافتاً بشكل فريد لأن باب البدروم كان نصف مغلق، وفكر بلوخ «مثل البطاطس».

بالطبع كان المنزل الذي أمامه ذو طابق واحد، وكانت ضلفة الشباك معلقة بخطافه، وعلى طوب ومحارة السقف كانت هناك طحالب «ياله من كلمة» وكان الباب مغلقاً وكان مكتوباً عليه: المدرسة الشعبية في الخلف بالحديقة. وكان هناك من يقطع الحطب، لابد أنه ساعى المدرسة، صحيح، وأمام المدرسة يوجد بالطبع سور من نبات حي، نعم، ذلك صحيح، ليس هناك شيء ناقص ولا حتى الإسفنج الموجودة أسفل السبورة في داخل حجرة الدراسة المظلمة وبجانبها العلية التي بها قطع الطباشير، ولا حتى نصف الدائرة بالخارج على الأسوار والتي فيها علامة توضيحية تقول بأن الأمر يتعلق بخدوش خطاف الشباك. وعامة كان كل شيء يفر بأن ما يتلقاه المرء أو يسمعه يطابق الكلمة المقصودة.

كان غطاء صندوق الفحم في حجرة الدراسة مفتوحاً ويمكن للمرء (كذبة إبريل!) أن يرى سلاح جاروف الفحم المصنوع من الصلب. ولذلك فإن الأرضية ذات البلاطات العريضة كانت شقوقها رطبة من أثر التنظيف، وما لا ينسى الخريطة التي على الحائط، وحوض الفسيل بجانب السبورة ووريقات الذرة على إطار الشباك: محاكاة وحيدة سيئة!

أكاذيب إبريل هذه لن يسقط فيها. لقد كان الأمر وكأنه يدخل دائماً فى دوائر أخرى. ونسى مانع الصواعق بجانب الباب. والآن بدا له ككلمة قاموسية. عليه أن يبدأ. وأعان نفسه عندما مر بالمدرسة بالخلف فى الفناء وتحدث إلى فراش المدرسة فى الكوخ الخشبي.

الكوخ الخشبي، فراش المدرسة، للفناء: كلمات قاموسية، ونظر كيف أن فراش المدرسة يضع قطعة الخشب على القمرة ثم كيف يتأهب لها بالبلطة، وتحدث بلوخ من الفناء فى الخارج أثناء ذلك، وتوقف فراش المدرسة بالداخل. وأجاب وعندما ضرب على قطعة الخشب سقطت إلى الجانب قبل أن تُصاب وضرب فى القمرة حتى خرج منها تراب وانهارت كومة الخشب التى لم تقطع بعد فى الخلفية.

مرة ثانية يالها من كلمة قاموسية؛ ولم يتبع ذلك شيئاً سوى أنه سأل فراش المدرسة فى داخل الكوخ الخشبي نصف المظلم ما إذا كانت هذه الحجرة الدراسية فقط لكل سنتين الدراسة.

وقال الفراش فجأة لا عجب أن الأطفال عند تخرجهم من المدرسة يظنون غير قادرين على الكلام بينما ضرب البلطة فى القمرة وخرج من الكوخ؛ ولا حتى جملة وحيدة كاملة يستطيعون إنهاؤها، إنهم يتحدثون مع بعضهم البعض فقط بالكلمات المفردة، ولا يسألون مطلقاً. وما يتعلمونه يعتبر فقط مادة للملاحظة يدلون بها عن ظهر قلب، وغير ذلك فإنهم غير قادرين على جميع الجمل «الحقيقة أنهم جميعاً أكثر أو أقل بكماً».

ماذا يعنى هذا؟ إلام يرمى الفراش؟ وما علاقته بهذا؟ لا شىء؟ لماذا يفعل الفراش ذلك وكأن الأمر له علاقة به؟

كان على بلوخ أن يجيب، ولكنه لم يسمح لنفسه بذلك. فعندما بدأ مرة، كان عليه أن يستمر فى الحديث. لذلك مشى قليلاً حول الفناء وساعد فراش المدرسة فى جمع قطع الأخشاب التى طارت خارج الكوخ أثناء التقطيع وأصبحت بعد ذلك ملقاة بطريقة غير ملحوظة فى الشارع واستطاعت أن تختبئ فى سكون.

ومر بساحة رياضية، كان الوقت بعد انتهاء العمل، وكان لاعبو الكرة يتدربون، وكانت الأرض رطبة، حتى أن قطرات المياه كانت تتناثر على النجيل عندما يلمس أحد اللاعبين الكرة بقدمه. ونظر بلوخ لمدة طويلة، وبدأت الشمس فى الغروب واستكمل سيره.

فى المطعم بمحطة المترو أكل كفتة وشرب بضعة أكواب من البيرة. وعند رصيف المحطة بالخارج جلس على دكة. ومشت فتاة بحذاء ذى رقبة عالية على الحصى ذهاباً وإياباً. فى إدارة خدمة النقل رن جرس التليفون، ووقف موظف بالخارج وكان يدخن، ومن حجرة انتظار أتى رجل وظل واقفاً. وعاد الضجيج إلى حجرة إدارة خدمة النقل. وسُمع حديث بصوت نال مثلما يحدث عندما يتحدث المرء فى التليفون. وفى أثناء ذلك ساد الظلام. كان الجو هادئاً نوعاً ما. ورأى المرء كيف أنه فى كل مكان هنا وهناك شخص يسحب أنفاساً من سيجارة. وفتح صنوبر المياه يشده ثم أغلق ثانية على الفور كما لو أن أحداً قد فزع! بعيداً فى الظلمة تحدث البعض، وسمع صوت واضح مثلما فى حالة الناس: أ، إى ونادى أحدهم: أوا ولم يكن واضحاً إذا ما كان المنادى رجلاً أو امرأة.

وبعيداً جداً استمع إلى شخص يقول بوضوح «تبدو منهكاً» ويرى المرء بين القضبان عامل سكة حديد واقفاً يحك رأسه، وفكر بلوخ أن ينام. يستطيع المرء أن يرى دخول القطار للمحطة وأن يشاهد كيف أن بعض الناس يبدون وكأنهم مترددون فى النزول. أخيراً نزل شخص مخمور وأغلق الباب بقوة. ورأى المرء كيف أن الموظف على الرصيف أعطى الإشارة ببطارية جيب وكيف أن القطار انطلق مرة أخرى. وشاهد بلوخ خط سير القطار فى حجرة الانتظار. فى هذا اليوم لم يمر أى قطار آخر.

وعلى كل فقد كان الوقت فى هذه الأثناء متأخراً لدخول السينما. وقد جلس البعض فى مدخل السينما. وجلس بلوخ بجانبهم وفى يده تذكرة السينما. ثم أتى عدد أكبر من الناس بعد ذلك. وكان مناسباً أن تُسمع ضجعة كبيرة. ومشى بلوخ أمام السينما ووقف فى مكان ما بجانبها ثم دخل إلى السينما. فى الفيلم أطلق شخص ببندقية الرصاص على رجل كان جالساً بظهره بعيداً بجانب النار، لم يحدث شئ، لم يسقط الرجل وبقي جالساً ولم ينظر - حتى من أطلق الرصاص. مضى بعض الوقت ثم سقط الرجل ببطء إلى الجانب وبقي راقداً بدون حركة. دائماً تلك الأسلحة القديمة، قال الراى لمراقبه: ليست لديه القوة الضاربة. فى الحقيقة إن الرجل كان ميتاً بالفعل بجانب النار.

بعد الفيلم ذهب بلوخ فى سيارة إلى الحدود مع صبيين. وارتطمت قطعة من الحجر بالسيارة من أسفل، وأصبح بلوخ الذى كان جالساً بالخلف منتبهاً مرة أخرى.

لقد كان يوم صرف الأجور ولم يجد بلوخ بالمطعم أية مائدة خالية يجلس عليها. وجلس بمكان ما. وجاءت المستأجرة ووضعت يديها على كتفه، وفهم بلوخ وطلب شنابس لجميع الجالسين على المائدة، ووضع للحساب عملة ورقية مطبقة، وفرد أحد الجالسين بجانبه العملة الورقية، وقال إنه يمكن أن يكون هناك عملة أخرى مختبئة. وقال بلوخ: وعند ذلك؟ وأعاد تطبيقها مرة ثانية وفرد الصبي العملة وسحب منفضة السجائر فوقها، ودفع بلوخ بالمنفضة ورمى الصبي بأعقاب السجائر في وجهه، وسحب أحدهم كرسي بلوخ من الخلف حتى أنه انزلق تحت المائدة، وقفز بلوخ وضرب الصبي الذي سحب منه الكرسي بذراعه في الصدر. وسقط الصبي على الحائط وتأوه بصوت عال لأنه لا يستطيع التنفس، ثم لف بعضهم ذراع بلوخ خلف ظهره وجعلوه يرتطم بالباب إلى الخارج، ولم يسقط ولكنه تأرجح فقط ودخل ثانية. وضرب تجاه الصبي الذي فرد له العملة ولافتة ركلة من الخلف وسقط هو والصبي على المائدة واستمر بلوخ أثناء السقوط وأمسك أحدهم يساقيه وجره بعيداً ورفسه بلوخ في ضلوعه ثم تركه الأول.. وأمسك آخرون ببلوخ وجروه إلى الخارج. في الشارع أخذوه إلى صندوق البخار وساقوه هنا وهناك. وظلوا واقفين أمام مبنى التفتيش الجمركي، وكانوا يضغطون برأسه على الجرس ويجرونه بعيداً. خرج موظف جمرك ورأى بلوخ واقفاً ثم دخل ثانية وجرى بلوخ وراء أحد الصبية وأوقع بأحدهم وهوى عليه الآخرون وتغاداهم بلوخ وضرب أحدهم بيطنه في رأسه. وخرج آخرون من المطعم وألقى أحدهم بمعطف على رأسه وقابله بضربة في قصبة الرجل ولكن الثاني ضم ذراعيه على صدره. الآن طرحوه أرضاً. ثم عادوا إلى المطعم. وخلص بلوخ نفسه من المطعم وجرى وراءهم. بقي أحدهم واقفاً دون أن يلتفت وجرى بلوخ إليه، واستمر الصبي في الجرى حالاً ووقع بلوخ على الأرض، بعد فترة نهض ودخل المطعم، كان يريد أن يقول شيئاً ولكن عندما حرك لسانه ظهر الدم في شكل فقاعات بالفم. ثم جلس على مائدة وأشار بأصبعه أنه يجب أن يُقدم له شيء. ولم يهتم به الآخرون على المائدة، وأحضرت له النادلة زجاجة من البيرة، وظن أنه يرى ذباباً صغيراً يطير على المائدة هنا وهناك، ولم يكن هناك سوى دخان سجائر. لقد كان من الضعف لدرجة أنه لا يستطيع رفع زجاجة البيرة بيد واحدة، لذا ضمها بكلتا يديه وانحنى كي لا يرفعها عالياً. كانت أذناه حساستين جداً، حتى أن أوراق اللعب لم تكن تسقط ولكن تقرع، والأسفنجة على البار لم تكن تسقط في حوض الغسيل

ولكن كانت ترتطم، وابنة المستأجرة لم تكن تمشى فى صالة الاستقبال بقبقاب خشبى، ولكنها كانت تتخسش فى صالة الاستقبال. والحمر لم تكن تصب ولكن كان لها خريز فى الأكواب. وصندوق الموسيقى لم يكن يدور ولكن كان يدوى. وسمع امرأة تصرخ من الفرع ولكن صراخ امرأة فى صالة مطعم لا معنى له، إذن لا يمكن للمرأة أن تصرخ من الفرع، ورغم هذا فقد أفاق بهذه الصيحة، بسبب الضجة، دوى صراخ المرأة برنين عال. وشيئا فشيئا فقدت المفردات معناها: الرغاوى فى زجاجات البيرة الفارغة لم تقل له الكثير، وكذا علبة السجائر التى فضها أحد الصبية بعنف، حتى أنه يستطيع أن يخرج منها سيجارة بأظافره، وأيضا أعواد الكبريت المحترقة الموجودة على الأجزاء غير الثابتة من الأرضية، فى كل مكان لم تشغل اهتمامه، وآثار الأظافر على الصمغ وعلى إطار الشباك لم تعد تترأى له على أنها تخصه. كل شيء جعله الآن بارداً، وقف ثانية فى مكانه، وفكر مثل حالة السلم. ولا يحتاج المرء من الديك المحتط فوق صندوق الموسيقى أية استنتاجات أخرى، وأيضا الذهابات النائمة على غطاء الملائات لا تلمح إلى شيء. ورأى المرء كيف أن الصبى قد سرح شعره بأصابعه، والفتاة فى الخلف تذهب إلى الرقص وصبية ينهضون ويترزون الجواكت. وسمع أوراق اللعب تصدر ضجيجاً عندما تخط ولكن لا يجب على المرء أن يتوقف عند هذه الأشياء، وكلما تعب أصبح إدراكه لكل شيء أوضح. وفرق بين الأشياء ورأى الباب مفتوحاً دائماً يخرج أحدهم ورأى أيضاً شخصاً يقف ويغلق الباب مرة أخرى، كان متعباً حتى أن كل شيء كان يراه كرسوم كروكى أولاً. كأن كل ما بقى من الأشياء هو رسم كروكى. لقد سمع ورأى كل شيء مباشرة دون أن يكون عليه أن يترجم الكلام مثلما فى الماضى وأن يفهمه ككلام أو ألعاب كلامية. كان فى حالة بدا له فيها كل شيء طبيعياً. بعد ذلك جلست المستأجرة بجانبه ووضع ذراعه عليها بشكل طبيعى حتى بدا أنها لم تلاحظ شيئاً. وألقى بعدة قطع من العملة فى صندوق الموسيقى، كما لو أن شيئاً لم يحدث ورقص مع المستأجرة دون أن يفعل أى شيء آخر، ولاحظ أنها كلما قالت شيئاً ذكرت اسمه. لم يكن هناك أى شيء أكثر من أنه رأى النادلة قد شبكت يدها فى اليد الأخرى، وعلى الستائر السميكة لم يعد هناك أى شيء خاص. وكان من الطبيعى أن كثيراً من الناس قد ذهبوا. بهدوء سمع المرء كيف أنهم قد قضاوا حاجاتهم فى الشارع واستكملوا سيرهم.

فى صالة المطعم أصبح الأمر الآن أكثر هدوء حتى أن الاسطوانات فى صندوق الموسيقى دارت بوضوح شديد. فى الوقت ما بين الاسطوانتين كان المرء يتحدث بصوت خافت أو يكتفم أنفاسه. وكان المرء أكثر ارتياحاً عندما بدأت الاسطوانة التالية. وبدأ بلبلوخ أنه يمكنه الحديث عن هذه الأشياء كشئ يتكرر دائماً، وحدث نفسه قائلاً دورة يومية، شيئاً من الذى يكتبه المرء فى بطاقات الأراء. «فى المساء يجلس فى المطعم ويستمتع إلى اسطوانات» لقد أصبح متعباً أكثر من ذى قبل. وبالحارج سقطت التفاحات من الأشجار. وعندما لم يكن هناك أحد سواه. ذهبت المستأجرة إلى المطبخ. وبقي بلبلوخ مكانه جالساً وانتظر حتى انتهت الاسطوانة، أغلق جهاز الموسيقى ولم يعد هناك أى ضوء سوى ضوء المطبخ. جلست المستأجرة فى المطبخ وبدأت تحسب. وجاء بلبلوخ إليها وفى يده غطاء زجاجة بيرة، وشاهدته عندما خرج من صالة الطعام ونظرت إليه أثناء قدومه إليها.

وخطر بباله مؤخراً غطاء البيرة، لقد أراد إخفاءه بسرعة قبل أن تراه، ولكن المستأجرة شاهدت غطاء البيرة دونه هو وسألته ماذا يريد بذلك، هل كان عليه حساب مكتوب لم يتم تحصيله. وترك بلبلوخ الغطاء يسقط وجلس بجانب المستأجرة ولم يفعل شيئاً تلو الآخر ولكن تم كل شئ أثناء تردده فى كل حركة، كانت هى مستمرة فى العد وتحديث معه، ثم رصت النقود بعيداً. قال بلبلوخ إنه نسى غطاء البيرة فى يده. إن ذلك لا يعنى أى شئ. ودعته إلى أن يأكل شيئاً معها ووضعت لوحة خشبية أمامه وقال هو إن هناك سكيناً ناقصاً وعند ذلك وضعت له السكين بجانب اللوحة الخشبية وقالت يجب أن تحضر الغسيل من الحديقة. لقد بدأت قطر الآن، ثم صبح لها بأنها لا قطر، إنها قطر من الأشجار لأن الجو عاصف نوعاً ما، لكنها كانت قد خرجت بالفعل. ولأنها تركت الباب مفتوحاً فلقد رأى أنها تمطر حقاً، ورأها آتية ونادى عليها وهى فى مواجهته قائلاً لها إنها فقدت قميصاً، لكن تبين فقط أنه خرقة للإرضية، كانت ملقاة من قبل بجانب المدخل. وعندما أشعلت شمعة، لأنها أمسكت الشمعة مائلة بعض الشئ فى يديها وتساقط الشمع على الطبق النظيف، وقال هو يجب أن تحترسى. ولكنها أوقفت الشمعة على الشمع المتساقط الذى ظل سائلاً وضغطتها عليها حتى ثبتت. وقال بلبلوخ «لم أكن أعرف أنك تريدين تثبيت الشمعة»، واستعدت للجلوس فى مكان ما لم يكن به كرسى. ونادى بلبلوخ عليها «احترسى» وفى أثناء ذلك انحنى والتقطت عملة

كانت قد سقطت من تحت المائدة أثناء العد. وعندما ذهبت إلى غرفة النوم لتلقى نظرة على الطفلة سألها في الحال، بل عندما ابتعدت عن المائدة إلى أن تريد أن تذهب، وفتحت الراديو في دولا ب المطبخ، لقد كان جميلًا أن يراها ذاهبة غادية بينما صدرت الموسيقى عن الراديو. وعندما فُتح الراديو في أحد الأفلام قُطع الإرسال وأُذيع بيان في الحال.

أثناء جلوسهما على المائدة تحدثا وبدأ بلوخ غير قادر على أن يقول شيئًا جادًا، لقد أطلق نكاتًا ولكن المستأجرة أخذت كل ما قاله حرفيًا. لقد قال إن بلوزتها مخططة مثل زى كرة القدم. وأراد أن يستكمل حديثه لكنها سألته ما إذا كانت البلوزة لا تعجبه مما جعله يتوقف عن الكلام، ولم ينفع قسمه بأنه قال نكتة فقط، بل إن البلوزة تناسب بشرتها الشاحبة. وسألت ثانية ما إذا كانت بشرتها شاحبة جدًا. وقال مازحًا إن المطبخ مؤثث تقريبًا مثل مطابخ المدينة وسألته لماذا «تقريبًا» هل يحتفظ الناس في المدينة بحاجياتهم أنظف؟ بل إن بلوخ عندما قال نكتة عن ابن صاحب الضيعة (بأنه عقد معها عقدًا مناسبًا)، أخذت الكلام حرفيًا: أن ابن صاحب الضيعة ليس عنده وقت. وقال بلوخ «لم أرد أن أقول شيئًا بذلك» وقالت المستأجرة «لا بد أنه كان لديك سبب لقول ذلك» وضحك بلوخ. وسألت المستأجرة لماذا يضحك. وصاحت الطفلة من داخل غرفة النوم فدخلت إليها وهدأتها. وعندما عادت كان بلوخ قد وقف. وظلت واقفة وتأملته لفترة وتكلمت بعد ذلك عن نفسها. ولأنها كانت قريبة منه جدًا لم يستطع الرد ورجع خطوة للوراء ولم تتقدم هي بل ثبتت في مكانها. وأراد بلوخ أن يمسكها وعندما حرك يده مؤخرًا، نظرت هي إلى الجانب وأسقط بلوخ يده وتصرف وكأنه أراد أن يمزح، وجلست المستأجرة على الناحية الأخرى للمائدة واستمرت في الحديث. وأراد بلوخ أن يقول شيئًا ولكن لم يخطر بباله ما أراد أن يقوله. وحاول أن يتذكر، ولم يتذكر عما كان يدور الحديث، ولكن كان له علاقة بالاشمئزاز ثم ذكرته حركة يد من المستأجرة بشيء آخر وثانية لم يخطر بباله ماذا كان، ولكنه كان شيئًا يتعلق بالخبجل. ما أدركه هو حركات وأشياء لم تذكره بحركات وأشياء أخرى، بل بمشاعر وأحاسيس، الأحاسيس لم يتذكرها كأشياء من الماضي ولكنه يعيشها ثانية، كأشياء حاضرة. لم يتذكر الخجل والاشمئزاز ولكنه يخبجل ويشمئز الآن عندما يتذكر دون أن تذكره الأشياء بالخبجل والاشمئزاز. الخجل والاشمئزاز كانا معًا شيئًا قويًا حتى أنه بدأ في هرش كل جسمه.

بالخارج ارتطم معدن بزجاج الشباك. وأجابات المستأجرة على سؤاله، وكان متعلقاً بعامود مانع الصواعق الذى كان مفكوكاً، وفسر بلوخ الذى لاحظ وجود مانع الصواعق بالمدرسة، هذا التكرار على أنه مقصود. فلا يمكن أن تكون صدفة، أن يجد مرتين واحدة تلو الأخرى مانعاً للصواعق، وعامة بدا له كل شيء متشابهاً، وذكرته كل الأشياء ببعضها البعض، ما هو المقصود من التصور المتكرر لمانع الصواعق؟ ماذا يجب عليه أن يستقرأه من مانع الصواعق؟ «مانع الصواعق». لقد كانت هذه أيضاً لعبة كلام؟ هل كان هذا يعنى أن شيئاً لا يمكن أن يحدث له؟ أو أنه كان تلميحاً بأن على المستأجرة أن تحكى كل شيء؟ ولماذا كان لقطع البسكويت على الطبق الخشبي شكل السمك؟ إلام تلمح؟ هل عليه أن يكون «صامتاً كسمكة»؟ هل هو غير مسموح له بالاستمرار فى الحديث؟ هل تشير له قطع البسكويت على الطبق الخشبي بهذا؟. وكان الأمر وكأنه لم ير أى شيء من هذا ولكنه كان يقرأ لوحة تعليمات للسلوك. وأمرته قطع الغسيل الموجودة على صنوبر المياه بشيء، وأيضاً طلبت منه سداة زجاجة البيرة الموجودة وهم وسط المائدة الخالية النظيفة تقريباً أن يفعل شيئاً. وعامة رأى مطلباً: بأن يفعل شيئاً ولا يفعل الآخر. كان كل شيء بالنسبة له مُشكلاً مسبقاً، الرف بطاسة البهارات، رف بأكواب مربي مطبوخة وطازجة، ويتكرر الأمر. ولاحظ بلوخ أنه لم يخاطب نفسه منذ فترة. وقفت المستأجرة عند حوض الغسيل وجمعت بقايا الخبز من الأطباق السفلى، وقالت إنه لابد أن يرتب المرء خلفه كل شيء. لم يفلق الدرج الذى كان يخرج منه الأدوات ولو لمرة واحدة والكتب التى كان يتصفح منها كان يتركها مفتوحة، لقد خلع الجاكت وتركه يسقط.

وأجاب بلوخ بأن لديه الإحساس أن عليه أن يترك كل شيء يسقط، وما كان ينقص قليلاً هو أنه على سبيل المثال يترك منفضة السجائر هذه تسقط من يده. تعجب من أنه مازال يراها فى يده. ووقف محسكاً بالمنفضة أمامه، ونظرت المستأجرة إليه. ونظر بعض الوقت إلى المنفضة ثم وضعها بعيداً، وكى تكون التلميحات التى تكرر نفسها متخيلة أعاد بلوخ ما قاله. ولم ينفع بشيء أن يكرر ثانية ما قاله. ورأى كيف هزت المستأجرة ذراعها فوق حوض الغسيل، وقالت إن قطعة تفاح قد سقطت فى كمها ولا تريد أن تخرج؟ قلدها بلوخ فى الحال عندما هزت كمها وبدا له أنه لو قلد كل شيء فسيستطيع أن يقف كما لو كان فى مكان آمن من الرياح.

ولكنها لاحظت ذلك فى الحال وقلدته مثلما قلدها ، عند ذلك أتت هى بالقرب من الشلاجة حيث كانت هناك علبة تورته ، ونظر بلوخ إليها ورأى كيف أنها كلما قلدها كانت تتحسس علبة التورته من الخلف وعندما كان ينظر إليها بانتباه شديد كانت تصطدم بكوعها للوراء وبدأت علبة التورته فى الانزلاق وانقلبت ببطء شديد من فوق الحافة المدورة للشلاجة. كان ومازال بإمكان بلوخ أن يمسك بها لكنه تأملها حتى ارتطمت بالأرض. وحينما انحنت المستأجرة نحو العلبة مشى هو جيئة وذهاباً وأزاح ، فى المكان الذى وصل إليه ووقف ، الأشياء بعيداً فى الزاوية ، كرسى ، ولاعة على الموقد وفتنجان بيض على مائدة الموقد. وسأل «هل كل شىء على ما يرام» سألها هذا السؤال الذى كان يريد أن تسأله هى إياه ولكن قبل أن تتمكن من الإجابة كان هناك طرق على الشباك من الخارج ، ولا يمكن أبداً أن يدق عامود الصواعق على الشباك. لقد عرف بلوخ هذا قبل ذلك بلحظة. فتحت المستأجرة الشباك ، ووقف بالخارج موظف الجمرك الذى كان يطلب مظلة للرجوع بها إلى منزله فى هذه المنطقة. وقال بلوخ إنه يستطيع أن يمضى معه فى الحال وأن تعطى له المستأجرة المظلة التى كانت تحت بنطلون العمل المعلق على إطار الباب ، وعدها أن يعيدها لها فى اليوم التالى وإذا لم يعدها لها ، فإن شيئاً لن يحدث فى هذه الأثناء.

فى الشارع فتح المظلة ، وكان صوت المطر عاليًا حتى أنه لم يسمع ، إذا ما كانت قد أجابته بشىء أم لا. وجاء موظف الجمرك تحت المظلة مسرعاً بجانب حائط المنزل مباشرة وانطلقا سرياً. وبعد بضعة خطوات أطفئت الأنوار فى المطعم وسادت العتمة تماماً. لقد كان الظلام شديداً حتى أن بلوخ وضع يده أمام عينيه ، وخلف السور الذى مرا به فى التواستمع إلى شخير أبقار. ومر شىء من أمامه ، وكان هناك حفيف للأوراق. وقال موظف الجمرك «الآن تقريباً كنت سادس قنفذ». وسأله بلوخ كيف رأى القنفذ فى الظلام. وقال موظف الجمرك «إن ذلك يتعلق بمهنتى ، عندما يرى المرء حركة أو يسمع ضجة فعليه أن يكون قادراً على معرفة الشىء الذى يتحرك على الحافة الخارجية لشبكية العين ، ويجب أن يُعرف ، نعم ، بل يجب أن يكون فى الإمكان تحديد لونه بالرغم من أن المرء يستطيع بالفعل أن يرى الألوان كما هى فقط فى منتصف الشبكية».

فى هذه الأثناء كانا قد خلفا المنازل التى على الحدود وراعهما. ذهبا فى طريق مختصر بجانب الجدول. كان الطريق مفروشا برمل وكان أكثر وضوحاً فى حين أن بلوخ قد تعود أكثر على الظلمة. وقال موظف الجمرى «بكل بساطة، إننا غير مشغولين إلى حد ما، ومنذ أنغمت الحدود فلم يعد هناك أى تهريب، لذا لم تعد هناك إثارة. أصبح المرء متعباً وغير قادر على التركيز، وعندما يحدث شيء لا يتفاعل معه بالمرء؛ لاح أمام بلوخ شيء يجرى، وخطا خلف موظف الجمرى، ومر من أمامه كلب واصطدم به «عندما يمر شخص بآخر فى الطريق لا يعرف المرء كيف يسك به، ويقف المرء بطريقة خاطئة من البداية، وعندما يقف بطريقة صحيحة، يعتمد على أن زميله بجانبه سوف يلتقه، بينما الزميل يعتمد على أن الآخر سوف يلتقه فى حين يهرب الشخص المقصود» وسمع بلوخ يهرب بينما كان موظف الجمرى يستنشق الهواء تحت المظلة وخلفه أحدث الرمل صوتاً. والتفت ورأى الكلب راجعاً. واستمر فى السير وجرى الكلب معهما وتشمم عظام ركبته. وظل بلوخ واقفاً وكسر بجانب الجدول قشرة بندق وركلها بعيداً، واستمر الموظف قائلاً «وعندما يواجههم المرء من المهم أن ينظر فى عينى الآخر، وقبل أن يمضى تشير العينان إلى الاتجاه الذى سوف يسلكه، وفى نفس الوقت على المرء أن يراقب ساقه، على أى ساق يقف؟ فى الاتجاه الذى تبينه الساق الواقفة، سيريد أن يتحرك بها. هل يريد الآخر أن يخدع ولا يمضى فى هذا الاتجاه. لذا فقبل أن يغادر، فى الحال عليه أن يغير الساق الواقفة، ولذا سيضيع وقتاً كثيراً فى خلال هذا يستطيع المرء الإيقاع به» ونظر بلوخ إلى الجدول بأسفل والذى يسمع المرء خريه ولا يراه. ومن إحدى الشجيرات طار طائر ثقيل. فى إحدى الحجرات الخشبية استمع إلى نقر دجاج كان يدق مناقيره على الألواح الخشبية. وقال موظف الجمرى «فى الحقيقة ليست هناك قاعدة. المرء دائماً فى الجانب السيئ لأن الآخر يراقب ويرى كذلك كيف سيكون رد الفعل، والمرء يستطيع أن يقوم برد فعل، وعندما يبدأ الآخر فى الجرى سيقوم فى أول خطوة بتغيير اتجاهه ويكون واقفاً على القدم الخاطئة».

فى هذه الأثناء كانا قد وصلا إلى الطريق الأسفلتى واقتربا من مرمر، وداسا هنا وهناك على نشارة الخشب المبللة التى تطايرت إلى الشارع بسبب المطر. وسأل بلوخ ما إذا كان الموظف تحدث لهذا السبب بالتفصيل عن شيء يمكن إيجازه فى جملة لأنه يريد أن يقول شيئاً آخر وحدث بلوخ نفسه قائلاً «لقد تحدث عن ظهر قلب» وبدأ من جانبه أن تجرّبه أن يتحدث المرء










بالطول والعرض عن شيء ما يحتاج إلى جملة وحيدة للتعبير عنه، ولكن ظهر أن الموظف قد اعتبر هذا شيئاً عادياً جداً وسأله عما يريد بذلك. إذن فقد بدا لموظف الجمر ك أن ما قاله كان مقصوداً حرفياً. وفي منتصف الطريق قابلهما المشتركون في دورة الرقص.

«دورة الرقص»؟ إلام تلمح هذه الكلمة أيضاً؟ وبحيث فتاة أثناء مرورها في «حقيبة يدها» عن شيء، وأخرى كانت ترتدى حذاءً «برقبة» عالية، هل كان هذا اختصاراً لشيء ما. لقد سمع خلفه كيف أن حقيبة اليد نقلت، وتقريباً كان يريد أن يضم المظلة كإجابة على ذلك.

لقد اصطحب موظف الجمر ك بالمظلة حتى مبنى البلدية. وقال الموظف وهو على السلم «حتى الآن أستأجر المسكن ولكنى أدخر لأمتلك واحداً» وعلى أية حال كان بلوخ قد دخل. ربما كان يرغب أن يشرب معه كأساً من الشناپس؟ رفض بلوخ ولكنه ظل واقفاً، وأثناء صعود الموظف انطفأ النور واتكأ بلوخ على صندوق البريد بأسفل وبارتفاع عال نسبياً مرت طائرة وزعق موظف الجمر ك في الظلام وضغط على زر النور «طائرة البريد». وحدث ضجيج على السلم وخرج بلوخ بسرعة، في الفندق سمع أن شركة سياحية كبرى هي التي نزلت اليوم بساحة لعبة البولنج بأسرة سفر لذلك كان المكان هناك اليوم هادئاً. وسأل الفتاة التي أعطته المعلومة ما إذا كانت تريد أن تصعد معه إلى أعلى وأجابت بجدية أنه ليس ممكناً اليوم. بعد ذلك وفي حجرته سمعها في الخارج تمضى بطول الممر وقمر ببابه. في الحجرة كان الجو بارداً حتى بدا له أن نشارة خشبية مبللة يمكن أن تكون قد نُشرت في المكان كله. ووضع المظلة بطرفها في حوض الغسيل ورقد مرتدياً ملبسه على السرير وأخذ في النعاس. وقام بعدة حركات متعبة من تلك التي تجعل النعاس غير جاد ولكنه ظل بذلك ناعساً. بعض الأشياء التي قالها نهاراً خطرت بباله، وحاول أن يتخلص منها بالزفير. ثم أحس كيف أنه بنعس.

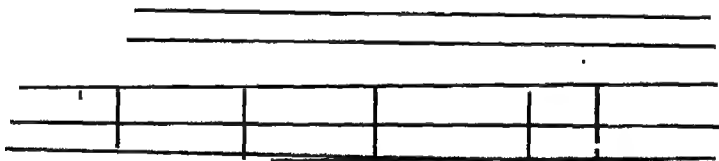
ديوك برية قمر عبر النار والصيادون يمضون بطول حقل ذرة والصبي يقف في المخزن ويكتب بالطباشير أرقام الحجرات على حقيبة مستنداته، وعليقة بلا أوراق كانت مليئة بطيور السنونو والحلزونات.

وتدريجياً استيقظ ولاحظ أن هناك شخصاً يتنفس بصوت عال في الغرفة المجاورة وأنه من إيقاع تنفسه تكونت لدى بلوخ جمل أثناء نومه المتقطع: كان يسمع زفيره مثل كلمة «اوند»

ممدودة والضجيج الطويل للشهيق تحول لدى بلوخ، إلى الجمل التي كانت هي الراحة ما بين الزفير والشهيق، وتطابق تلميحا بأفكارها وتعقد بكلمة «أوند». وقف الجنود أمام السينما بأحذية فسحة ووضعت علبة كبريت على علبة السجائر وعلى التليفزيون كانت هناك زهرية وشاحنة تشتت رملاً على الأوتوبيس أثناء مرورها، وأحد الذين يريدون إيقاف سيارة يحمل عنقود عنب ويقول لأحدهم «افتح من فضلك» افتح من فضلك، هاتان الكلمتان الأخيرتان لا تناسبان التنفس المجاور الذي أصبح أكثر وضوحاً، بينما تختلف الجمل تدريجياً. لقد كان مستيقظاً تماماً. دق أحدهم على الباب ثانية وقال «افتح من فضلك» لابد أنه استيقظ بسبب ذلك. حتى أن المطر توقف وعدل وضعه بسرعة وقفزت ريشة من مرتبة السرير وعادت إلى موضعها ثانية. وأمام الباب وقفت عاملة الفندق بصينية الإفطار. كان يستطيع أن يقول بأنه لم يطلب إفطاراً. لقد استأذنت وطرقت على الباب. ووحيداً مرة ثانية بالحجرة وجد أن كل شيء قد تغير مرضه. فتح صنبور المياه، وفي الحال سقطت ذهابات من المرأة في حوض الغسيل وأزبحت بسرعة بالماء وجلس في التو. كان الكرسي ما يزال إلى يمينه والآن إلى يساره وأعاد النظر من اليمين إلى اليسار في المقابل رأى بجانب  وتحتها  وبجانبها  وعليها  وعندما نظر حوله رأى  وبجانبه . لقد جلس على  وتحت ملقى  وبجانبه 

لقد ذهب إلى  



شد بلوخ الستائر وخرج.

كانت حجرة الاستقبال محجوزة لشركة السياحة. أشار صاحب الفندق لبلوخ ليدخل الحجرة المجاورة حيث تجلس أم صاحب الفندق عند الستائر المغلقة أمام التليفزيون. أزعج صاحب الفندق الستار ووقف بجانب بلوخ، مرة يراه واقفاً إلى يساره وعندما ينظر مرة أخرى يكون العكس. وطلب بلوخ إقطاراً والجريدة وأجاب صاحب الفندق أنها تُقرأ حالياً من أعضاء الشركة السياحية. تحمس بلوخ وجهه بأصابعه وبدت الحدود صماء وأحس ببرودة. كان النهاب يزحف على الأرضية ببطء حتى أنه اعتبره جعارين. من ضلفة الشباك طارت نحلة وسقطت ثانية. فى الخارج يقفز الناس ما بين نقر مياه الأمطار: يحملون حقائب تسوق سميكة. تحمس بلوخ وجهه كله. أتى صاحب الفندق بالصنية وقال إن الجريدة لم تزل محجوزة. لقد تحدث بصوت خافت حتى أن: بلوخ فى رده عليه أجاب بصوت خافت وهمس «لست متعجباً» كانت شاشة التليفزيون متربة فى ضوء النهار وكان الشباك الذى ينظر التلاميذ من خلاله أثناء مرورهم ينعكس على الشاشة. أكل بلوخ واستمع إلى الفيلم. كانت أم صاحب الفندق تولول وتلوح. وتتنوح. بالخارج لمح أحد الواقفين بحقيبة مليئة بالصحف، فخرج وألقى بعملة فى الفتحة الموجودة بجانب الحقيبة وأخرج الصحيفة. كان متمرساً على النصف حتى أنه عند دخوله كان قد قرأ الوصف عن نفسه. لقد ألح من إحدى السيدات فى الأوتويس لأنه فقد عملات من حقيبته. لقد انحنت عليها ورأت أن الأمر يتعلق بعملات أمريكية. بعد ذلك علمت أنه وُجد بجانب عاملة التذاكر الميتة عملات مثل هذه. فى البداية لم يأخذ أحد أقوالها مأخذ الجد ولكن تبين أن الوصف يتفق مع وصف أحد معارف عاملة التذاكر رأى رجلاً يقف بالقرب من السينما فى الليلة السابقة. جلس بلوخ ثانية فى الغرفة المجاورة وتأمل الصورة التى رُسمت وفقاً للمعلومات التى أدلت بها السيدة. هل يعنى هذا أن اسمه لم يعرف بعد؟ متى طُبعت الصحيفة؟ ورأى أنها الطبعة الأولى التى تصدر عادة فى الليلة السابقة على اليوم. وبدا له العنوان والصورة كما لو أن شيئاً لصق على الصحيفة وفكر: مثل الصحف فى الأفلام، هناك أيضاً تُبدل العناوين بعناوين أخرى تناسب الفيلم: وأمثل العناوين التى يطبعها المرء بنفسه فى أماكن المتعة والترفيه.

وُفسرت الشخبطة الموجودة على طرف الجريدة على أنها كلمة «شتوم» وبحروف أبجدية كبيرة فى البداية: إذن لابد أن الأمر يتعلق بأسم شخص. هل هناك شخص اسمه «شتوم» له علاقة بالموضوع؟ وخطر ببال بلوخ أنه يتحدث مع عاملة التذاكر عن صديقه لاعب الكرة شتوم. وعندما نظفت الفتاة المائدة لم يطلو بلوخ الجريدة وسمع أن الفجرى أطلق سراحه وموت التلميذ الأيكم كان حادثاً. توجد صورة مدرسية للطفل فى الجريدة لأن الطفل لم يصور وحده مطلقاً. وسقطت وسادة من أم صاحب الفندق على الأرض، كانت تسند إليها ظهرها، رفعها بلوخ وخرج بالصحيفة إلى الخارج. ورأى نسخة صاحب الفندق على مائدة لعب الورق. فى هذه الأثناء كانت شركة السباحة قد غادرت الفندق. كانت الصحيفة- طبعة نهاية الأسبوع- ضخمة جداً حتى أنها لا تناسب حامل الصحف. وعندما مرت به عربة، تعجب بلا تفكير- كان الجو واضحاً تماماً- حتى أنها سارت بكشافات مظفاة. لم تكن ثمة أحداث خاصة. ورأى كيف أن سلال التفاح فى حديقة الفواكه كانت تُفرغ فى أجولة. الدراجة التى تجاوزته انزلت فى الطين عدة مرات، ورأى اثنين من الفلاحين على باب أحد المحلات وقد تصافحا: كانت الأيدي جافة حتى أنه سمع لها حفيفاً. قادت الآثار الطينية للجرارات على طريق ما بين الحقول إلى الطريق الأسفلتى، ورأى سيدة عجوز تقف فى انحناءة وتضع إصبعاً على شفطها أمام إحدى الفاترينات وأصبحت أماكن الانتظار أمام المحل خالية عما قبل. الزبائن الذين كانوا ما يزالون يأتون، ذهبوا من المدخل الخلفى «الرغوة» «تسيل» «سلام المبنى» «إلى أسفل» «وسادات» «موضوعة» «خلف» «اللوح الزجاجى». اللافقات السوداء التى عليها الأسعار سُحبت إلى داخل المحل «الدجاج» «يلتقط» «العنب المتساقط».

استندت الديوك الرومية بقوة إلى الأقفاص المصنوعة من السلك. دخلت الفتيات من الباب وأسندن أيديهن إلى عظمة الخصر. فى المحل المظلم وقف بائع صامتاً خلف الميزان «على طاولة المحل» «يوجد» «قطع من الطوب» واستند بلوخ إلى حائط أحد البيوت، كانت هناك ضجة من نوع خاص، عندما فتحت بجانبه إحدى النوافذ المواربة. أكمل سيره فى الحال. ووقف أمام مبنى جديد لم يُسكن بعد، وكان زجاج النوافذ قد رُكب فيه بالفعل. كانت الحجرات خالية تماماً حتى أن المرء يستطيع أن يرى من خلال كل النوافذ الطبيعة التى خلفها. وبدا لبلوخ وكأنه هو الذى أعد المنزل بنفسه. لقد ركب البرايز بنفسه والنوافذ أيضاً، وأيضاً يخصه

الأزميل ورق الغداء وكوب المشهيات على النافذة، نظر مرة ثانية: مفاتيح النور ظلت كما هي مفاتيح نور وكراسى الحديقة فى الطبيعة خلف المنزل ظلت كراسى حديقة. لقد استكمل سيره لأن- هل عليه أن يبرر لاستكمال سيره، حتى-؟

إلام يهدف هو، عندما؟ هل عليه أن يعلل «عندما» فى حين أنه؟ وهل كان هذا سيستمر حتى-؟ هل كان بالفعل بعيداً جداً حتى أن-؟ لماذا يجب أن يكون هناك شيء ناتج عن سيره هنا؟ هل عليه أن يبرر، لماذا وقف هنا؟ لماذا يجب عليه عندما يمر بحمام سباحة أن يهدف إلى شيء؟ هذه الـ «حتى أن»، و«لأن»، «حتى» كانت مثل عناوين: وقرر أن يتجنبها لكى لا- وكان بجانبه ضلفة شباك مواربة فُتحت بصوت خفيض. كل ما يمكن التفكير فيه، كل ما يمكن أن يرى كان مشغولاً. لم تفزع صرخة واحدة ولكن أفزعته جملة كانت برأسه فى نهاية صف الجمل المعتادة وبدا له أن كل شيء قد تبدل اسمه. كانت المحلات قد أغلقت. وبدت أماكن العرض التى لم يعد أمامها أحد ممثلة. لا يوجد مكان لا يوجد فيه على الأقل كومة من الملعبات. عند خزانة المحل هناك ورقة خزانة نصف ممزقة.

كانت المحلات مرتبة جداً حتى أن...

«كانت المحلات مرتبة جداً حتى أن المرء لا يمكنه أن يشير إلى شيء، لأن...»

«كانت المحلات مرتبة جداً حتى أن المرء لا يمكنه أن يشير إلى شيء لأن الأشياء المفردة تغطى بعضها البعض».

فى أماكن الانتظار كانت دراجات الفتيات فقط هى التى مازالت واقفة. بعد الغداء ذهب بلوخ إلى ساحة رياضية، ومن بعيد استمع إلى صراخ الجمهور، وعندما وصل كانت الفرق الاحتياطية لا تزال تلعب. وجلس على الدكة فى الجزء الطولى للملعب وقرأ الصحيفة حتى محتويات صفحة نهاية الأسبوع وسمع ضجة مثل تلك التى تحدث عندما تسقط قطعة لحم على أرض صخرية: وشاهد ورأى الكرة المبللة الثقيلة التى اصطدمت برأس لاعب ثم وقف وانصرف، وذهب بطول الملعب إلى خلف المرمى. لم يرد أن يظل واقفاً للخلف قريباً منه جداً. وصعد المنحدر إلى الشارع. وبدا له كما لو أن زراً من الجاكت قد قطع، وقفز إلى الشارع. التقط الزر، وضعه فى جيبه، وتحدث مع شخص كان يقف بجانبه واستعلم عن أى الفرق تلعب، وسأل عن مكان الجداول.

وقال، أثناء وجود تلك الريح المضادة لا يجب أن يلعبوا كرات عالية. ولاحظ أن الرجل الذي بجانيه لديه أهازيم فى حذائه. ورد الرجل «أنا لم أعرفك بنفسى أيضاً» «أنا وكيل وأقيم بالمنطقة لعدة أيام» وقال بلوخ «اللاعبون يصرخون كثيراً، كثيراً جداً»، «مرت لعبة جيدة من أمامهم يهدوء» «ورد الوكيل» ليس هناك مدرب يتناديهم من على الخط ليقول لهم ما يجب عمله». وبدا لبلوخ كما لو أنهما يتحدثان معاً من أجل شخص ثالث. وقال «على هذه المساحة الصغيرة يجب أن يأخذ المرء قراره أثناء اللعب» وسمع قرقعة، كما لو أن الكرة أصطدمت بقائم المرمى. وحكى بلوخ أنه لعب ضد فريق كل لاعبيه حفاة، وفى كل مرة حينما يركلون الكرة كانت الكرة تصطدم بقرقعة أكثر فأكثر. وقال الوكيل «فى الاستاد رأيت ذات مرة، أن لاعباً كُسرت ساقه وسُمع صوت الكسر حتى آخر مقعد بأعلى». ورأى بلوخ بجانيه مشاهدين آخرين يتحدثان معاً، لم يراقب الذى كان يتحدث فى الترو ولكن ذلك الذى كان يستمع وسأل الوكيل ما إذا كان قد حاول مرة أثناء هجمة ألا يراقب المهاجمين فى البداية ولكن حارس المرمى الذى يجرى المهاجمون بالكرة إليه». ثم قال بلوخ «إنه من الصعب أن تهمل مشاهدة المهاجمين بالكرة وتشاهد حارس المرمى، يجب أن يخلص المرء نفسه من الكرة، أنه شيء غير طبيعي بالمرة. يرى المرء حارس المرمى بدلاً من الكرة وكيف أنه يمر بيده على فخذه ويعود للوراء وينحنى ناحية اليمن واليسار ويصرخ فى المدافعين». «عادة ما يلاحظ المرء لحظة ما تسدد الكرة إلى المرمى». وسارا معاً بطول الخط الجانبى، وسمع بلوخ صوت لهاث كما لو أن مراقب الخط جرى ماراً بهما.

وقال هو «إنه منظر غريب، وحارس المرمى بدون كرة ولكنه فى توقع الكرة براها تجرى هنا وهناك» ورد الوكيل «إنه لا يستطيع أن يطيل النظر إليه ورغماً عنه يشاهد الآن المهاجمين ثانية» وعندما ينظر إلى حارس المرمى يبدو له وكأنه على المرء أن يحول، إن ذلك مثلما يكون المرء ذاهباً لشخص على الباب وبدلاً من أن ينظر إلى الشخص ينظر إلى مقبض الباب. يصاب الرأس بوجع ولا يستطيع المرء بعد ذلك أن يتنفس بطريقة صحيحة. وقال بلوخ «لقد اعتاد المرء على ذلك ولكن هذا مضحك».

واحتسبت ضربة جزاء. وجرى كل الجمهور خلف المرمى، وقال بلوخ «حارس المرمى يفكر فى أى ركن سيصوب الآخر، وعندما يعرف من الراكل، سيعرف أى ركن يختاره عادة.

من الممكن أن يضع الراكل فى حساباته أن حارس المرمى يفكر. إذن حارس المرمى يستمر فى تفكيره إن الكرة يمكن أن تأتى فى الركن المعتاد وهكذا وهكذا.

ورأى بلوخ كيف أن كل اللاعبين خرجوا من منطقة الجزاء. وضع الراكل الكرة بطريقة صحيحة. ثم رجع أيضاً خارج منطقة الجزاء. وقال بلوخ «وعندما جرى اللاعب، أشار حارس المرمى بجسمه رغماً عنه. وقبل أن تُركل الكرة إلى الاتجاه الذى سيرمى بنفسه ناحيته ويستطيع الراكل بهدوء أن يسدد الكرة فى الاتجاه الآخر. ومع ذلك يستطيع الحارس جيداً أن يحاول إغلاق الباب بعضاً من الغاب». انطلق الراكل فجأة. الحارس الذى ارتدى بلوفر أصفر زاهياً، ظل واقفاً بلا حركة وسدد له الراكل الكرة فى يديه.

وقد لاحظ في نفسه رغبة غريبة في أن يعرف ثمن كل شيء وقد انشرح صدره عندما رأى زجاج محل بقالة مكتوب عليه بلون أبيض البضائع الجديدة التي وصلت وأثمانها، وقد سقطت إحدى لافتات الأسعار داخل إحدى صناديق الفاكهة أمام المحل وقد أوقفها هو، وكانت هذه الحركة كافية، لأن يخرج أحدهم ويسأله إذا ما كان يريد أن يشتري شيئاً ما.

ومرة أخرى تراءى له كأنه يرى الأشياء بمعناها المجازي. لاحظ هو أن الخفير ينوي أن يقوده إلى داخل المبنى. أراد بلوخ أن يوضح سوء التفاهم، وبالرغم من أن الخفير لا يتحدث إلا قليلاً فلم تتح له أية فرصة لذلك. وعلى باب المدخل الذي دخل منه الاثنان ثبتت بعض رؤوس السمك بمسامير. وقد شرع بلوخ في شرح ما يريد، ولكن مرة أخرى فاتته اللحظة المواتية. ولكنهما ذهبا إلى الداخل بالفعل.

ورأى بلوخ كيف أن كل اللاعبين خرجوا من منطقة الجزاء. وضع الراكل الكرة بطريقة صحيحة. ثم رجع أيضاً خارج منطقة الجزاء. وقال بلوخ «وعندما جرى اللاعب، أشار حارس المرمى بجسمه رغماً عنه. وقبل أن تُركل الكرة إلى الاتجاه الذي سيرمي بنفسه ناحيته ويستطيع الراكل بهدوء أن يسدد الكرة في الاتجاه الآخر. ومع ذلك يستطيع الحارس جيداً أن يحاول إغلاق الباب بعضاً من الغاب». انطلق الراكل فجأة. الحارس الذي ارتدى بلوفر أصفر زاهياً، ظل واقفاً بلا حركة وسدد له الراكل الكرة في يديه.

يطلب من مكتبة نشرقيات

١ شارع أبو بكر خيرت - الشيرين - باب اللوق